

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (١٤)



د. الشيخ عبد الرسول الغفاري



الشقشقية

(دراسة موضوعية لشخصيات تصدّت للخلافة الإسلامية)

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ تأليف: د.الشيخ عبدالرسول الغفاري

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني:
info@haydarya.com



مقدمة المكتبة

مازالت مسألة الخلافة بعد رسول الله ﷺ مثاراً لكثير من التساؤلات والجدل رغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة سنة عليها، وهي وإن كانت في البداية فلتة، ولكن تمّ التنظير لها من قبل المتكلّمين فيما بعد، فاختلفت أقوالهم في كيفية انعقادها، إلا مدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث بقوا وتمسّكوا بمن نصّ عليه الرسول ﷺ بالنصّ الجلي والخفي على لزوم اتّباعه ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا هو الفارق الجوهري بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرسة الخلفاء، وباقي الخلافات العقائدية والفقهية تنشأ منه وبسببه.

وممّا حفظه لنا التراث عن هذا الجدل، الخطبة الشقشقية، حيث يشرح لنا أمير المؤمنين عليه السلام بصورة موجزة وبعبارات مقتضبة ما حدث، كما يتمّ فيها تقييم لنفسية كلّ من تصدّى للخلافة قبله، ويشرح موقفه منهم.

وقد تصدّى لشرحها والتعليق عليها وتوثيق صدورها بذكر

المصادر والشواهد الأخرى التي تؤيّد محتواها، سماحة الدكتور الشيخ عبدالرسول الغفاري، وقد آثرنا نشرها ضمن (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) تعمياً للفائدة..

مكتبة الروضة الحيدرية

٥ ذو القعدة ١٤٣٢هـ

***

الفصل الأول

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية

أما والله لقد تقمّصها(١) فلانٌ - ابن أبي قحافة - وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى(٢)، ينحدر عنّي السّيل(٣)، ولا يرقى إليّ الطّير(٤)، فسدلت دونها ثوباً(٥)، وطويت عنها كشحاً(٦)، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء(٧)، أو أصبر على طخيةٍ عمياء(٨)، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصّغير، ويكدح فيها مؤمنٌ حتّى يلقى ربّه(٩).

فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى(١٠)، فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً(١١)، أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل(١٢) لسبيله، فأدلى بها إلى فلانٍ(١٣) بعده.

ثم تمثّل بقول الأعشى:

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر(١٤)

فيا عجباً! بينا هو يستقيلها(١٥) في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشدّ ما تشطّرا ضرعيها(١٦)-! فصيّرها في حوزةٍ خشناء، يغلظ

كلمها(١٧)، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصّعبة(١٨)، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني النّاس -لعمر الله- بخبطٍ وشماسٍ(١٩) وتلوّنٍ واعتراضٍ؛ فصبرت على طول الـمدّة، وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله(٢٠) جعلها في جماعةٍ زعم أنّي أحدهم. فيالله وللشّورى! متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم، حتّى صرت أقرن إلى هذه النّظائر(٢١)! لكنّي أسففت إذ أسفّوا (٢٢)، وطرت إذ طاروا، فصغا رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره(٢٣)، مع هنٍ وهنٍ(٢٤)، إلى أن قام ثالث القوم(٢٥)، نافجاً حضنيه(٢٦) بين نثيله(٢٧) ومعتلفه(٢٨)، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الرّبيع(٢٩)، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته(٣٠).

فما راعني إلاّ والنّاس كعرف الضّبع إليّ(٣١)، ينثالون عليّ من كلّ جانبٍ، حتى لقد وطىء الحسنان، وشقّ عطفاي(٣٢)، مجتمعين حولي كربيضة الغنم(٣٣).

فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفةٌ ومرقت أخرى، وفسق [وقسط] آخرون(٣٤) كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لايريدون علوّاً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[1]، بلى! والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدّنيا في

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

أعينهم، وراقهم زبرجها(٣٥).

أما والّذي فلق الـحبّة، وبرأ النّسمة(٣٦)، لولا حضور الـحاضر، وقيام الـحجّة بوجود النّاصر(٣٧)، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّة ظالم(٣٨)، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها(٣٩)، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز!

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد(٤٠) عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، فلمّا فرغ من قراءته قال لـه ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك من حيث أفضيت!

فقال عليه السلام: **هيهات يابن عبّاس! تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت**(٤١).

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلامٍ قطّ كأسفي على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

شرح مفردات الخطبة:

(١) تقمّصها: أي تلبّس بها؛ وهي الخلافة، وفلان أراد به عليه السلام: أبا بكر بن أبي قحافة.

(٢) محل القطب من الرّحى: إشارة إلى كون موقعه من بين المسلمين كموقع القطب الذي تدور عليها الرّحى، وأنّه المركز الذي

تأوي إليه الجموع وتلوذ به الفرسان.

(٣) ينحدر عنّي السّيل: تشبيهاً لنفسه بذروة الجبل المرتفع، فهو منبع العلم والمعرفة، وهذا تمثيل لسمو قدره عليه السلام وقربه من مهبط الوحي، وأنّ علمه ينحدر من ذلك النبع الإلهي فيصيب منه ما شاء الله، لذا فإنّ الخلافة ممتنعة على غيره، لا يصلح أحد لها ولا يتمكن منها.

(٤) ولا يرقى إليّ الطير: لا يصل إلى مقامه من الفضل والعلم أحد، والعبارة في غاية البلاغة في الدلالة على الرفعة.

عبارته هذه أعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها؛ لأنّ السيل ينحدر عن الربية والهضبة، وأما تعذّر رقي الطير بما يكون للقلال الشاهقة جداً، بل ما هو أعلى من قلال الجبال، كأنّه يقول: لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها.

قال حبيب الطائي:

مكارم لجّت في علوٍ كأنّها   تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

(٥) فسدلت دونها ثوباً: كناية عن إعراضه عن الخلافة، وسدل الثوب إرخاؤه.

(٦) الكشح: ما بين الجنب والخاصرة، والكاشح: المعرض عنك حين يوليك كشحه أي جنبه، وهو مثل لأنّ من جاع فقد طوى كشحه، ومن شبع فقد ملأه، فجوعه عن الخلافة أي لم يلتقمها.

(٧) طفقت: جعلت.

أرتاي: أُفكّر.

يد جذّاء: أي مقطوعة، ويقولون: رحم جذاء أي لم توصل، وسن جذاء أي متهمة.

والمراد هنا ليس ما يؤيدها، كأنّه قال: تفكرت في الأمر فرأيت قلة الناصر أو عدمه، لذا وجدت الصبر أولى، وهذا بيان لعلة الإغضاء.

(٨) طخية عمياء: الظلمة الشديدة، والغم والحزن، ونسبة العمى إلى الظلمة مجاز عقلي، وإنّما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٩) يكدح: يدأب ويسعى ويجد فلا يعطى حقّه.

(١٠) أحجى: أولى، يقال: هذا أحجى من هذا، أي أولى وأحرى وأوجب وألزم، لذا أولع بالصبر ولزمه.

ومنه: هو حجي بكذا، أي جدير به. وأصله من الحجى بمعنى العقل، فهو أحجى أي أقرب إلى العقل.

وهاتا بمعنى هذه.

والمعنى الذي تجسده العبارة هو: أنّه رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(١١) القذى: ما يقع في العين من عود وتراب ونحوه.

والشجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه.

والتراث: حقه المغتصب أي الخلافة.

والنهب: أخذ المال وغيره بالغلبة والاعتداء والقهر.

(١٢) الأوّل: هو أبو بكر بن أبي قحافة.

أدلى بها: أي بالخلافة أدلى إليه بالمال دفعه إليه، حيث صيّر أبو بكر الخلافة من بعده إلى قرينه ابن الخطاب.

(١٣) الثاني: أبو حفص عمر بن الخطاب.

(١٤) الكور: الرحل، والمعنى المراد يقول عليه السلام: هناك فرق بين يوم بويعت فيه بالخلافة مع ما فيه من الاختلاف، ويوم بويع فيه عمر إذ وجد الأمور أمامه ممهدة.

ما الذي يعنيه البيت المذكور آنفاً؟

حيّان كان سيداً في بني حنيفة، مطاعاً فيهم، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الأعشى ينادمه. والأعشى هذا اعشى قيس أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، وجابر أخو حيان اصغر منه ومعنى البيت: أنّ فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيّان في رفاهيته، فإنّ الأوّل كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة.

(١٥) الاستقالة: طلب الإعفاء من الأمر. وروى بعض علماء الجمهور أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: أقيلوني فلست بخيركم.

(١٦) لشدّ ما: أي شديداً جداً.

تشطّرا: اقتسما والضمير في ضرعيها يعود على الخلافة. قالوا: إنّ

للناقة في ضرعيها شطرين كلّ خلفين شطر ويقال: شطر بناقته تشطيراً صرّ خلفين وترك خلفين والشطر أيضاً: أن تحلب شطراً وتترك شطراً.

فتشطّرا أي أخذ كلّ منهما شطراً. سمّى شطري الضرع ضرعين مجازاً، وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث أنّ من ولّي الخلافة لا ينال الأمر إلاّ تاماً ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطير والاقتسام، كأنّ أحدهما ترك منه شيئاً للآخر. وأطلق على كلّ شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كلّ واحد من أمر الخلافة.

(١٧) الحوزة: الجهة.

الكلم ـ بفتح الكاف وسكون اللام ـ الجرح، كأنّما عنى بقوله هذا: إنّ خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(١٨) الصعبة من الإبل: التي لم تروّض، إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها، وإن أسلس زمامها ـ أي أطلق لها الزمام ـ تقحّم في المهالك فألقته في مهواة.

(١٩) مني الناس: ابتلوا واصيبوا. الخبط: السير على غير جادة. والشماس ـ بالكسر ـ النفار. التلوّن: التبدّل. الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنّه يسير عرضاً في حال سيره طولاً.

(٢٠) الضمير في (لسبيله) يعود إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

(٢١) النظائر: الذي يشبه بعضهم بعضاً دونه.

(٢٢) أسفّ الرجل: إذا دخل في الأمر الدني، من أسفّ الطائر إذا دنا من الأرض. وأراد عليه السلام بذلك أنّه لم يخالفهم في شيء.

(٢٣)صغى: مال. الضغن: من الضغينة، يريد به سعد بن أبي وقّاص؛ لأنّ علياً عليه السلام قتل أخواله من بني أميّة. أو طلحة؛ لأنّه تيمي. والذي مال إلى صهره عبد الرحمن بن عوف؛ لأنّه زوج أم كلثوم بنت أبي معيط أخت عثمان لأمّه.

(٢٤) هن: بوزن أخ، كناية عمّا لا يريد التصريح به، إذ يشير إلى أغراض أخر يكره ذكرها.

(٢٥) ثالث القوم: يشير إلى عثمان بن عفّان، وكان ثالثاً بعد انضمام كلّ من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه.

(٢٦) الحضن: ما بين الإبط والكشح، يقال للمتكبّر: جاء نافجاً حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً.

(٢٧) النثيل: الروث.

(٢٨) المعتلف: موضع العلف. ومعنى ما تقدم أنّه لا همّ له إلاّ ما ذكر.

(٢٩) الخضم: الأكل بجميع الفم أو بكلّ الأصابع. والقضم الأكل بأطراف الأسنان، فهو أخف من الخضم.

(٣٠) انتكث فتله: انتقض. وأجهز عليه: أتم قتله. والبطنة:

امتلاء البطن من الطعام. وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

(٣١) عرف الضبع: شبّه كثرتهم بكثرة الشعر. والعرف: الشعر النابت على عنق الفرس، فاستعاره للضبع وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وانثالوا: أي انصبّوا وتتابعوا مزدحمين.

(٣٢) شقّ عطفاي: العطف ـ بكسر العين ـ الجانب. وتروى عطافي: أي ردائي، وذلك أنّ كثرة الزحام عليه وشدة اصطكاك الناس من حوله خدش جانباه. وكان الازدحام لأجل البيعة.

(٣٣) ربيضة الغنم: الطائفة من الغنم. يصف ازدحامهم وجثومهم بين يديه.

(٣٤) الناكثون: أصحاب الجمل، لأنّهم بايعوه فنكثوا بيعته. وهم: طلحة، والزبير، وعائشة، وأصحابهم.

والمارقون: الخوارج أصحاب النهروان.

والقاسطون: معاوية، وعمرو بن العاص، وأهل الشام أصحاب واقعة صفين.

والقاسط: الجائر.

(٣٥) راقهم زبرجها: أي أعجبهم من زينة الدنيا حسنها وزينتها وما فيها من متعٍ ولذّات. وأصل الزبرج: النقش والزينة من وشي أو جوهر.

(٣٦) فلق الحبّة: شقّها. برأ النسمة: خلقها. والنسمة ـ محركة ـ

النفس، وكان كثيراً ما يقسم بهذا القسم، وهو من أقسامه الجميلة.

(٣٧) الحاضر: من حضر لبيعته. الناصر: الجيش الذي يستعين به.

(٣٨) الكظة: امتلاء البطن من الطعام، يريد أنّهم لا يقارّوا الظالم على استئثاره وأكله الحرام. السغب. شدة الجوع، والمراد منه هضم حقّه الواجب له.

(٣٩) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٤٠) أهل السواد: سواد الكوفة، أي ضواحيها، وسمّي بالسواد لكثرة زرعه وخضرته.

(٤١) الشقشقة: شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج. والهدير: صوتها.

ما نقله ابن أبي الحديد في شأن الخطبة:

قال: حدّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب هذه الخطبة، فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع (يعني قول ابن عباس: ما أسفت... إلى آخره)، قال لي: لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت لـه: وهل بقي في نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألّا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟

والله، ما رجع عن الأوّلين ولا عن الآخرين، ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قال مصدّق: وكان ابن الخشّاب صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت: أتقول: إنها منحولة؟ فقال: لا والله، وإنّي لأعلم أنّها كلامه كما أعلم أنّك مصدّق.

فقلت لـه: إنّ كثيراً من الناس يقولون: إنّها من كلام الرضيّ رحمه الله تعالى؟

فقال: أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب، فقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع في هذا الكلام في خلٍّ ولا خمر.

ثـمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتبٍ صنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي[1].

***

(١) شرح النهج ١: ٦٩.

مصادر الخطبة الشقشقية[1]

١ـ الغارت/ ابن هلال الثقفي، المتوفى (٢٨٣ هـ).

٢ـ المحاسن والآداب/ البرقي، المتوفى (٢٨٠هـ).

٣ـ المواعظ والزواجر/ ابن سعيد العسكري، المتوفى (٢٩١هـ) عن الغدير٧: ٨٢.

٤ـ نقل ابن الخشاب بعد أن أقسم أنّه رأى هذه الخطبة في كتاب قد أولّف قبل الشريف بـ (٢٠٠ سنة). انظر: ما هو نهج البلاغة للشهرستاني: ٩٨.

٥ـ العقد الفريد/ ابن عبد ربه الأندلسي، المتوفى (٣٢٨ هـ) نقلاً عن البحار المجلد ٨/ ١٦٠ الطبعة الحجرية.

٦ـ عبد الله بن محمّد بن محمود المعروف بابن كعب البلخي المعتزلي، وفاته قبل مولد الرضي، توفي (٣١٧هـ) بنقل ابن أبي الحديد ١: ٦٩.

٧ـ الإنصاف في الإمامة / أبو جعفر بن قبة، المتوفى (٣٨٠هـ)

---

(١) الخطبة الثالثة من نهج البلاغة.

(المعتزلي) تلميذ ابن كعب المتقدم.

٨ـ معاني الأخبار/ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، ص٣٤٣.

٩ـ علل الشرائع / الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، ص١٤٤.

١٠ـ تحف العقول/ ابن شعبة الحرّاني، المتوفى (٣٨٠هـ)، ص٣١٣.

١١ـ كتاب الجمل/ المفيد، المتوفى (٤١٣ هـ) ص٩٢ و٦٢.

١٢ـ الإرشاد/ المفيد، المتوفى (٤١٣ هـ) ١: ١٣٠ و٢٨٤ و٢٨٦

١٣ـ المغني/ القاضي عبد الجبار، المتوفى (٤١٥هـ) بنقل الغدير٧: ٨٣.

١٤ـ الأمالي/ أبو الفتح هلال بن محمّد الحفار، المتوفى(٤١٤ هـ)، بنقل الطوسي في أماليه١: ٣٩٢.

١٥ـ الإفصاح في الإمامة / المفيد، المتوفى (٤١٣ هـ).

١٦ـ نثر الدرر/ الوزير منصور بن الحسين أبو سعيد الآبي، المتوفى (٤٢٢ هـ) بنقل أعيان الشيعة للأمين ٨: ١٠٧.

١٧ـ نزهة الأديب/ الوزير منصور بن الحسين أبو سعيد الآبي.

١٨ـ الفهرست/ ابن النديم، المتوفى (٤٣٨ هـ)، ص٢٢٤.

١٩ـ الشافي/ للسيد المرتضى، المتوفى (٤٣٦ هـ)، ص٢٠٣.

٢٠ـ شرح الخطبة الشقشقية/ المرتضى المتوفى (٤٣٦ هـ).

٢١ـ الأوائل/ أبو هلال العسكري، المتوفى (٣٩٥ هـ).

٢٢ـ الرسائل العشر/ الطوسي، المتوفّى (٤٦٠ هـ)، ص١٢٤.

٢٣ـ الفهرست/ النجاشي، المتوفّى (٤٥٠ هـ)، ص٩٢.

٢٤ـ الأمالي/ للشيخ الطوسي، المتوفّى (٤٦٠ هـ)، ١: ٣٩٢.

٢٥ـ مجمع الأمثال/ الميداني المتوفّى (٥١٨ هـ)، ١: ١٩٧.

٢٦ـ المستصفي/ الزمخشري، المتوفّى (٥٣٨ هـ)، ١: ٣٩٣.

٢٧ـ شرح نهج البلاغة/ القطب الراوندي، المتوفّى (٥٧٣ هـ).

٢٨ـ خطب علي عليه السلام لإبراهيم بن الحكم الفزاري.

٢٩ـ غرر الحكم/ الآمدي، المتوفّى (٥٨٨هـ)، ٣: ٤٦ و٦: ٢٣٢ و٢٥٦.

٣٠ ـ الاحتجاج/ الطبرسي، المتوفّى (٥٨٨هـ)، ١٩١ ١: و٢٨١.

٣١ـ المناقب/ ابن الجوزي، المتوفّى (٦٥٤ هـ).

٣٢ـ تذكرة الخواص، يوسف بن خزعلي سبط بن الجوزي الحنفي، المتوفّى (٦٥٤ هـ)، ص١٣٣.

٣٣ـ الفرقة الناجية/ القفطي، المتوفّى (٩٤٥ هـ).

٣٤ـ المجلى/ ابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفّى (٩٠٩ هـ)، ص٣٩٣.

٣٥ـ البحار/ المجلسي، المتوفّى (١١١٠هـ) قديم ١٦٠ :٨.

٣٦ـ ما كتبه الوزير أبو الحسن علي بن محمّد بن الفرات، كان

وزير المعتمد بالله، كتب الخطبة في نسخة وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة، وأنّ الخطبة قد كانت مكتوبة قبل ابن الفرات بمدّة. الغدير٧: ٧٤.

٣٧ـ النهاية/ لابن الأثير، ٢: ٢٩٤.

وقد شرح جملة من ألفاظ الخطبة كـ(جذذ)، (ملأ)، (خضم)، (ابض)، (زبرج)، (شنق)، (عطف).

وقد روى بعض هذه الكلمات غير ما أثبته الرضي، فيعلم أنّ لابن الأثير مصادر عثر عليها غير (نهج البلاغة) جمع الرضي.

٣٨ـ لسان العرب/ لابن منظور، مادة شقشق.

٣٩ـ القاموس/ الفيروز آبادي، ٣: ٢٥١.

تسمية الخطبة:

سمّيت هذه الخطبة بـ(الشقشقيّة) وبـ(المقمّصة) من حيث اشتمالها على لفظ التقمّص في أوّلها. ومن حيث عبارة الإمام عليه السلام التي وردت في آخر الخطبة جواباً لابن عبّاس لمّا سأله بقوله: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك من حيث أفضيت!

فقال عليه السلام: «هيهات يا بن عباس، تلك شقشقة هدرت..».

تكاد أن تكون هذه الخطبة هي السبب الرئيسي في إثارة القوم الشبهات الواهية حول (نهج البلاغة) والتشكيك فيه، ورمي جامعه

الشريف الرضي بالكذب والتزوير، وما رغاء أولئك إلاّ مكابرة للحق والعناد الذي أمات قلبهم وأصمّ أسماعهم.

ثمّ إنّ المعركة حول (نهج البلاغة) منذ أن نشبت إلى يومنا هذا وإن اصطبغت بصبغة أدبية في ظاهرها لكنّها مذهبية سياسية في باطنها.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة يرى نفسه أنّه أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله من منافسيه، ومنافسوه يعلمون ذلك حقاً. لكن ماذا يعمل حين لم يجد من يناصره على المطالبة بحقّه؟ لهذا صبر على مضض، وأعرض عن غير رضا. وأمير المؤمنين عليه السلام لابدّ من أن يحاجج خصمه، ويدافع عن حقّه، ويدلي بأدلّته. وفي كون الإمام أحق بهذا الأمر من غيره أمر مستفيض عنه، من ذلك قوله عليه السلام لأبي بكر لمّا طلبوه ليبايع فقال عليه السلام: «أنا أحق بهذا الأمر منكم، وأنتم أولى بالبيعة لي».

وقوله لأبي عبيدة بن الجرّاح لمّا طلب إليه أن يبايع لأبي بكر: «الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وعقر بيته... ولا تدفعوا أهله عن مقامه، فوالله لنحن أحق الناس به»[1].

وأمّا كتابه إلى معاوية فهو أكثر صراحة من قبل، إذ جاء فيه: «وذكرت حسدي الخلفاء، وإبطائي عنهم... والكراهية لأمرهم،

---

(1) انظر: الإمامة والسياسة ١: ١١.

فلست أعتذر إلى الناس من ذلك... » إلى أن يقول: «بل عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ وقد تركته لهم»[1].

بل اعتراف عمر بن الخطاب أكبر دليل على أحقيّة الإمام علي بالخلافة، من ذلك ما رواه ابن عبّاس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس، فقال: أم والله يا بني عبد المطلب، لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته. فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما عليه، وافترعتما الأمر منه دون الناس؟!

فقال: إليكم يا بني عبد المطلب، أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب فتأخرت عنه وتقدم هنيهة، فقال: سر لا سرت. وقال: أعد عليّ كلامك فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه، ولو سكت سكتنا. فقال: إنا والله ما فعلنا عن عداوة، ولكن استصغرناه وخشينا ألاّ تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

قال: فأردت أن أقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه فينطح كبشها، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ فقال: لا جرم، فكيف ترى؟ والله لا نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتّى نستأذنه[2].

---

(1) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٨٩/ ٤٢٤.

(2) محاضرات الراغب ٢: ٢١٣.

وبمثل هذا نقل ابن أبي الحديد المعتزلي فقال: قال عمر لابن عباس: يا بن عباس، أم والله، إن كان صاحبك ـ يعني علياً عليه السلام ـ أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلاّ أنا خفناه على اثنتين قال ابن عباس: فجاء بمنطق لم أجد بداً من مسألته عنه، فقلت: يا أميرالمؤمنين، ما هما؟ قال: حداثة سنّه، وحبّه بني عبد المطلب[1].

أقول: فأي ضير من الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في الدفاع عن حقّه والقوم يعترفون له بهذا الحق المغتصب؟! وهل الدفاع عن الحق والتعرّض للغاصبين أمر منكر؟!

إليك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتّى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: ربّي أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

وروى مثله عن سهل بن سعد وزاد فيه: «فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي»[3].

(١) شرح النهج: ١ / ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٩: ٨٣ / كتاب الفتن.

(٣) صحيح البخاري ٩: ٨٤ / كتاب الفتن.

الأبعاد الحسية للخطبة:

اشتملت الخطبة على الشكوى والتظلّم من القوم والشيخين بالذات في أمر الإمامة والخلافة، وقد عرفت أنّها محل خلاف بين الشيعة وبين بعض مناوئيهم في نسبة الخطبة للإمام عليه السلام أو للرضي، وقد ثبت أنّها وجدت في مصادر قبل أن يولد الرضي بقرن من الزمان، كما هو عن مصدّق بن شبيب النحوي قرأها على أستاذه أبي محمّد ابن الخشّاب، إذ قال: أنا وجدتها قبل أن يخلق أبو الرضي فضلاً عن الرضي.

وكذا توجد في كتاب (الإنصاف) لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة كانت وفاته قبل أن يولد الرضي. وكذا وجدها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمّد بن الفرات وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة.

ثمّ اشتملت الخطبة على بعد حسّي آخر، وهو موقف أميرالمؤمنين عليه السلام من القوم، إذ التزم الصمت، وتجرّع الغصص، وركن إلى الصبر حفاظاً على روح الإسلام وحقناً لدماء المسلمين.

ثمّ في الخطبة التصريح بأنّ الخليفة الأوّل رغب بالاستقالة لعدم أحقيّته بالخلافة.

ثمّ التذكير بسيرة الخليفة الثاني لمّا حصر أمر الخلافة في الشورى؛ فالأعضاء الناخبون هم ستة لا غير، ثلاثة يمثّلون جبهة وفاق واتحاد كلمتهم على عثمان، وواحد غائب عن الشورى مع ميوله لعثمان، واثنان

- عليّ والزبير - تكاد تنعدم الألفة بينهما، فالغلبة للثلاثة - أي لصالح عثمان - دون الاثنين، وقد تنبأ الخليفة الثاني لهذه النتيجة الحتمية من قبل. والبعد الآخر ما رسمه لنا أميرالمؤمنين عليه السلام في سير الأحداث أثناء خلافته.

الأوجه البلاغية في الخطبة:

أوّلاً: قوله عليه السلام: «محلّي منها محل القطب من الرحى» [1] فيه ثلاث صور من التشبيهات:

أ- تشبيه محلّه بمحل القطب من الرحى: تشبيه المعقول بالمعقول، كونه نظام الدولة.

ب- تشبيه نفسه بالقطب: تشبيه للمحسوس بالمحسوس.

ج- تشبيه الخلافة بالرحى: تشبيه المعقول بالمحسوس.

لمّا كانت حاجة الرحى إلى القطب ضرورية قصد أنّ غيره لايقوم مقامه في أمر الإمامة.

(إنّ محلّي منها محل القطب من الرحى) تشبيه محض، يقول عليه السلام:

---

(1) الرحى: الحجر العظيم. وهي عند الفرّاء تكتب بالياء والألف، وقال ابن سيدة: الحجر العظيم، والرحى معروفة التي يطحن بها. لسان العرب 5: 175 - 176 - رحا.

كما أنّ الرحى لا تدور إلاّ على القطب ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه، كذلك نسبتي إلى الخلافة، فإنّها لا تقوم إلاّ بي ولا يدور أمرها إلاّ عليّ، هكذا وربّما أنّه أراد: إنّي من الخلافة في الصميم وفي وسطها كما أنّ القطب وسط دائرة الرحى.

ثانياً: قوله عليه السلام: «ينحدر عنّي السيل» استعار لنفسه وصفين:

أ- الانحدار، شبه العلم بالماء ولا يصدق الانحدار في الماء إلاّ إذا كان في مرتفعٍ كالجبل.

ب- كنّى عن علوّه وشرفه وعلمه بالسيل إذ تفيض منه العلوم والتدبيرات السياسية والفقهية.

ثالثاً: قوله عليه السلام: «ولا يرقى إليّ الطير» كناية عن غاية أخرى من العلو.

رابعاً: قوله عليه السلام: «فسدلت» كناية عن احتجابه عن طلب الخلافة والإعراض عنها. استعار لذلك الاحتجاب لفظ الثوب، استعارة المحسوس للمعقول.

خامساً: قوله عليه السلام: «طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء».

أجيل الفكر في تدبير أمر الخلافة وأردّه بين طرفي نقيض. استعار وصف الجذّاء لعدم الناصر، ووجه الشبه أنّ قطع اليد يستلزم عدم القدرة على التصرف، وهكذا في عدم الناصر.

سادساً: قوله عليه السلام: «طخية عمياء».

لمّا كان هناك الالتباس والحيرة استعار لفظ الطخية لذلك الالتباس (استعارة المحسوس للمعقول)، ووجه الشبه أنّ الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الأمور. وهكذا وصف الطخية بالعمى على وجه الاستعارة؛ لأنّ الأعمى لا يهتدي إلى مطلبه، وكذا في هذه الظلمة.

سابعاً: ثمّ كناية عن تلك الشدّة وما فيها من آثار:

أ ـ «يهرم فيها الكبير».

ب ـ «يشيب فيها الصغير».

(يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير) يمكن حمل ذلك على الحقيقة ويمكن حمله على المجاز والاستعارة، وعليه فقد أراد (عليه السلام) على معنى الحقيقة: طول المدة، أي طول مدة ولاية المتقدّمين عليه، فانّها مرّة يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير.

وأمّا على المجاز فإنّه أراد بذلك صعوبة تلك الأيام حتى أنّ الكبير من الناس يكاد يهرم لصعوبتها والصغير يشيب من أهوالها، كقولهم هذا أمر يشيب لـه الوليد وإن لم يشب على الحقيقة.

وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ولا يرقى اليّ الطير، وطفقت ارتئي... فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، ثمّ صبرت وفي العين قذى.

ج ـ المؤمن يقاسي الشدّة.

ثامناً: أشار ـ في قوله (عليه السلام) ـ إلى أنه اتخذ طريق الصبر، فهو أليق

بنظام الإسلام؛ لأنّ مقاومته ومناهضته للغاصبين الإمامة بغير ناصر لاتثمر.

تاسعاً: «فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً».

الواو للحال، والجملتان كنايتان عن شدّة ما أضمره من الأذى والغبن الذي لحقه.

عاشراً: «أرى تراثي نهباً». وفيها مقاصد:

أ ـ قد يكون مقصده فدكاً وما للزوجة بحكم ملك الزوج.

ب ـ وقد يكون مقصده الخلافة المغتصبة.

ج ـ في العبارة تلويح إلى زمن الرسول وما كان يحضى فيه بالتقدير.

د ـ كما في العبارة تلويح إلى ما كان يعانيه (عليه السلام) بعد وفاة الرسول وما حصل لـه من متاعب.

ثمّ شبه حاله بيومين: أحدهما في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) وما كان يحضى به من التقدير، واليوم الآخر هو بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وما حصل لـه من المتاعب ثمّ الإشارة إلى تناقض كلام الخليفة الأول، فهو يستعفي من الخلافة ولكن عقدها قبل وفاته إلى عمر.

الحادي عشر: «لشدّ ما تشطّرا ضرعيها» استعار (عليه السلام) لفظ الضرع للخلافة استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة، ووجه الشبه المشابهة في الانتفاع الحاصل منها.

الثاني عشر: «حوزة خشناء»، كناية عن طباع عمر الخشنة:

أ ـ غلظة كلامه. ب ـ خشونة طبعه.

الثالث عشر: «يكثر العثار فيها والاعتذار منها» كناية إلى تسرّع عمر في الأحكام.

ثمّ وصف حال الثالث من الخلفاء وهو يقرّب بطانته من بني أميّة. (يخضمون في مال الله)؛ الخضم كناية عن كثرة توسّعهم وتصرّفهم مال المسلمين على يد عثمان.

ثمّ أقسم بالحبّة والنسمة؛ خصها بالتعظيم بالنسبة إلى الله تعالى لما يشتملان عليه من لطف الخلقة وصغر الحجم من أسرار الحكمة وبدائع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم.

يكثر الإمام عليه السلام من تشبيه المعقول بالمحسوس، فيقول عليه السلام: «مجتمعين حولي كربيضة الغنم» شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الأشياء في مواضعها، وقلّة فطانتهم.

«فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة و...».

الأصناف الثلاثة الذين خالفوه هم:

أ ـ أهل الجمل.

ب ـ أهل صفّين.

ج ـ أهل النهروان.

وأوصاف هؤلاء ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله.

***

الفصل الثاني

تفصيل بعد إجمال

قوله عليه السلام: **«لقد تقمّصها فلان... حتّى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده».**

تقمّصها: الخلافة، جعلها كالقميص، أنّها مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ولباس التّقوى﴾[1].

وقول النابغة:

تسربل سربالاً من النصر وارتدى عليه بغضب في الكريهة فاصل

أراد عليه السلام بكلمة (فلان) الأولى أبا بكر بن أبي قحافة، وبكلمة (فلان) الثانية عمر بن الخطاب[2]. وقد عرفت من كلمة تقمّصها

---

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) صرّح ابن أبي الحديد ـ في شرحه عندما نقل الخطبة ـ باسم الأول فقال: ابن أبي قحافة، بينما في (نهج البلاغة) المطبوع وردت (فلان) بدلاً من التصريح بالاسم. وأبو قحافة هو والد الخليفة، وقد عمّر إلى سبع وتسعين عاماً، ومات في خلافة الثاني في سنة ١٤هـ.

تصدّي أبي بكر للخلافة، فإنّه (عليه السلام) يشير ابتداءً إلى الأحداث التي جرت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وأنّها وقائع مريرة، ويجدر بنا أن نشير إلى مجمل تلك الأحداث ابتداءً من السقيفة إلى الشورى وما تمخّض من ذلك من أحداث جسام.

أجمعت كتب التأريخ والسيرة بأنّ عمر بن الخطاب أنكر وفاة النبيّ، بل توعّد الناس وهدّدهم بالقتل إن قالوا بوفاته (صلى الله عليه وآله)! أمر عجيب! وتحار عنده العقول! قال زيني دحلان: قال عمر: من قال إنّ محمداً قد مات ضربته بسيفي[١].

وعن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: لمّا توفّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام عمر بن الخطّاب فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفّي، إنّ رسول الله والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلةً ثمّ رجع بعد أن قيل: قد مات والله. ليرجعنّ رسول الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات[٢].

---

(١) السيرة النبويّة للعلاّمة زيني دحلان، المطبوع بهامش السيرة الحلبية ٣: ٣٩٠.

(٢) هذا الخبر والذي سبقه تجده في عشرات المصادر وبألفاظ متقاربة نذكر بعضها: تاريخ الطبري ٢: ٤٢٢. تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٤. البداية والنهاية ٥: ٢٤٢. تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٤. تاريخ الخميس ٢: ١٨٥. مسند أحمد ٦: ٢١٩. نهاية الأرب ١٨: ٣٨٥. أنساب الأشراف ١: ٥٦٥.

من هؤلاء الرجال المنافقون الذين يزعمهم عمر بن الخطّاب؟ هل صرّح النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه ذاهب إلى ميقات ربّه كما كان موسى بن عمران؟ وهل علم عمر بن الخطّاب أنّ الميقات للنبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) هو أربعون يوماً؟ وهل كفّر عمر عن قسمه، أم أنّه قد استعمل التورية في كلامه؟

وإذا كان النبيّ سيرجع ويقطّع أيدي رجالٍ وأرجلهم فعلام يتبرّع عمر في قتل أولئك؟ وهل تبقى باقية من أولئك ـ المنافقين على حدّ زعم عمر ـ الذين قالوا بوفاة النبي إلى زمان رجوعه حتّى يقطع أرجلهم وأيديهم؟

يبدو أنّها فوضى، وقد سادت الجاهلية من جديد، وأصبحت الشريعة الحاكمة هي شريعة الغاب! وذلك واضح جدّاً؛ لتأمين مصالح سياسية قد اتّفق عليها القوم قبل رحيل النبيّ (صلى الله عليه وآله) عنهم.

وابن أبي الحديد أشار إلى ذلك فقال: إنّ عمر لمّا علم أنّ رسول الله قد مات خاف من وقوع فتنة في الإمامة وتغلّب أقوام عليها إمّا من الأنصار أو غيرهم، وخاف أيضاً من حدوث ردّة ورجوع عن الإسلام. ثـم قال: فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهر من كون الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يمت، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم[١].

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٢٩، ط بيروت.

اتضح ممّا سبق أنّ عمر بن الخطاب كان يماطل المسلمين ويتهدّدهم بالقتل ويحملهم على حياة النبيّ و... كلّ ذلك يريد أن يصل أبو بكر حتّى تكتمل إرادة الجميع، ويبدأ تنفيذ ما بيّتوه في الأمس.

هذا الموقف قد انكشف للأنصار؛ لذا بادروا إلى حسم الموقف قبل مجيء أبي بكر وعمر إليهم، ثمّ إنّ جمعاً غفيراً من الأنصار كان إلى جنب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ممّن رفضوا مبايعة أبي بكر.

قال ابن جرير الطبري: (وكان عمر يقول: لم يمت، وكان يتوعّد الناس بالقتل في ذلك. فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء)[1].

أنظر إلى موقف أبي بكر، حيث أدرك أنّ القوم يطلبون الرئاسة، ولا مفرّ من ذلك، ممّا جعل الإمارة لـه والوزارة لسعد وقومه، غير أنّ عمر بن الخطاب تدارك الموقف لحسم النزاع بالمرّة في صالح رفيقه وصاحبه. فقال لأبي بكر: مدّ يدك لأبايعك، فمدّ يده فبايعه، وتابعه أبو عبيدة الجرّاح وبعض الناس. أمّا الأنصار فامتنعت، وادّخرت الأمر إلى عليّ بن أبي طالب.

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣.

قال الطبري: (... فقام عمر فقال: أيكم تطيب نفسه أن يخلف من قدّمها النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار أو بعض الأنصار - لا نبايع إلاّ علياً)[1].

إذاً بيعة أبي بكر لم تحصل إلاّ من عمر وأبي عبيدة بن الجرّاح، وبعض الناس.

أمّا سعد بن عبادة فلم يبايع [2]. وأمّا الأنصار فلم يبايعوا. ثمّ بنو هاشم كذلك لم يبايعوا، وهكذا عليّة الصحابة لم يبايعوا، ومنهم: أبو ذرّ، وعمّار، والمقداد، وسلمان الفارسيّ، و... ثمّ العبّاس وطلحة والزبير كذلك لم يبايعوا. ثمّ عليّ بن أبي طالب كذلك لم يبايع. ثمّ بقيّة المسلمين من المهاجرين كذلك لم يبايعوا، والبعض منهم كان مع عليّ بن أبي طالب في تجهيز الرسول وتغسيله[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣.

(٢) مات في خلافة عمر بن الخطاب ولم يبايع أبا بكر ولا عمر، حتّى مات وهو ساخط عليهما. انظر الإمامة والسياسة: ١٧.

(٣) عن عبد الله بن عباس قال: إنّ عليّ بن أبي طالب والعبّاس بن عبد المطّلب والفضل بن عبّاس وقثم بن العبّاس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله هم الذين تولّوا غسله، وإنّ أوس بن خوليّ أحد بني عوف بن الخزرج قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله. وكان أوس من بدر وقال: أدخل فدخل.

وعليه، فإنّ كبار الأمّة كانت في شغلٍ شاغلٍ عن موت الرسول، أمّا بنو هاشم فقد كانوا في عزاء ومصيبة، فهم مشغولون في النبي، في تغسيله وتجهيزه؛ لأنّ الكلّ كان يطمع في الخلافة إلاّ بني هاشم الذين تولّوا شأن الرسول في تجهيزه وتكفينه، بل إنّ البعض كان لا يدري حتّى دفن النبيّ صلى الله عليه وآله.

عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الأربعاء[1]. فالجميع كان يمنّي نفسه بالخلافة والجميع ـ في بادئ الأمر ـ امتنع عن بيعة أبي بكر إلاّ عصابةً منهم والحجر الذي يقف أمام عمر وأبي بكر هم الأنصار قاطبة.

أقول: قاطبةً، وذلك باعتراف من عمر بن الخطاب، كما في تأريخ الطبريّ: قال عمر: (... وإنّه كان من خيرنا حين توفّى الله نبيّه صلى الله عليه وآله. إنّ عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّف عنا الأنصار بأسرها)[2]. ولا عجب عندما تسمع أنّ أبا بكر وعمر لشدّة تكالبهما على الخلافة أنّهما تركا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يشهدا دفنه[3].

---

(١) مسند أحمد٦: ٢٧٤. سيرة ابن هشام٤: ٣٤٤. تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧٠. تاريخ الطبري٢: ٤٥٢ و٤٥٥. طبقات ابن سعد٢: ٨٢٤ ط ليدن. القسم الثاني ص٧٨.

(٢) تاريخ الطبري٢: ٤٤٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، انظر: كنز العمال٣: ١٤٠.

كيف تمت البيعة لأبي بكر؟

دخل عمر بن الخطّاب حلبة الصراع، وأخذ يجول بين أطراف القوم والجهات التي اشرأبّت أعناقها للسلطة، وأوّل شخصيّة تتصدر لمجابهة عمر هو الحباب بن المنذر بن الجموح، حيث أدلى برأيه وقال: منّا أمير ومنهم أمير.

آنذاك قال عمر: هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلاّ مدلٍ بباطلٍ أو متجانف لإثم أو متورطٍ في هلكة[1].

هذا أوّل تهديد... أو متورّطٍ في هلكة.

هذا التهديد ردّه الحباب بن المنذر، فقال: (يا معشر الأنصار، أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممّن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكّك،

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٧..

وعذيقها المرجّب، أما والله لئن شئتم لنعيدنّها جذعة)[1].

اتّضح لعمر أنّ الموقف من الأنصار ـ والذي يمثّله الحباب ـ شديد، وربّما ينفجر بالاشتباك الصارخ، ومع هذا الاعتقاد أجاب عمر فقال: إذاً يقتلك الله قال الحباب: بل إيّاك يقتل[2].

عرفت التهديد الأوّل من قبل عمر وكان لعامّة الأنصار والتهديد الثاني كان للحباب بن المنذر وأمّا التهديد الثالث من عمر فكان لسعد بن عبادة. قال عبد الله بن عبد الرحمن: فأقبل الناس من كلّ جانبٍ يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعداً لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضدك، فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر، الرفق هاهنا أبلغ. فأعرض عنه عمر[3].

هذا التهديد أوجع قلب أبي بكر ممّا عاتب عليه، فقال لعمر:

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٤٥٨. البيان والتبيين٣: ١٨١. الإمامة والسياسة: ٩. مسند أحمد١: ٥٦، السيرة الحلبيّة ٣: ٣٨٧. شرح النهج١: ١٢٨ و٢: ٤.

(٢) تاريخ الطبري٢: ٤٥٧.

(٣) تاريخ الطبري٢: ٤٥٩. مسند أحمد١: ٥٦. العقد الفريد٢: ٢٤٩. سيرة ابن هشام٤: ٣٣٩.

الرّفق هاهنا أبلغ؛ لأنّ الأمر أخذ بالقوّة، والناس اتّقت الفتنة. وأمّا الهمج الرعاع فاتّجهوا نحو أبي بكر. إذاً لا داعي لهذا التهديد الجديد في سقيفة بني ساعدة!

التهديد الرابع: هذا التهديد استعمله عمر لبعض المهاجرين، وبالخصوص للزبير.

عن المغيرة، عن زياد بن كليب، قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[1].

وفي روايةٍ أخرى: أنّهم أخذوا سيفه فضربوا به الجدار ورواية ثالثة: أنّهم ضربوا به صخرة وكيفما كان أرادوا إبطال سيفه عن الضرب حتّى لا ينهض بوجوههم، ولا يقوى على مجابهتهم، وقد حصل لهم ذلك.

التهديد الخامس: استعمله عمر لإجبار عليّ بن أبي طالب، ولم يبق من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ بني هاشم، وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣. الإمامة والسياسة: ١١. الرياض النضرة ١: ١٦٧. شرح النهج ١: ٥٨ و٢: ١٩٥.

وإليك تفاصيل الحادث برواية ابن قتيبة، قال: (وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ (كرّم الله وجهه)، فبعث إليه عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل لـه: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت ألاّ أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً.

فأتى عمر أبا بكر فقال لـه: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولىً لـه: اذهب فادع لي علياً. قال: فذهب إلى عليّ فقال لـه: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة. قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل لـه: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله! لقد ادّعى ما ليس لـه.

فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت

أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة.

فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا لـه: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟

قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك، قال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال لـه عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه فلحق عليّ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي، وينادي: يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم تردّ عليهما السلام.

فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلاّ أنّي سمعت أباك

رسول الله ﷺ يقول: لا نورّث، ما تركنا[1] فهو صدقة.

فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: "رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟".

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؛ ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها، ثـمّ خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.

قالوا: يا خليفة رسول الله، إنّ هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنّه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لو لا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بتّ ليلة ولي في عنق مسلمٍ بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة.

(١) في بعض النسخ: ما تركناه.

قال: فلم يبايع عليّ (كرم الله وجهه) حتّى ماتت فاطمة عليها السلام، ولم تمكث بعد أبيها إلاّ خمساً وسبعين ليلة[1].

هكذا تمّ الأمر لأبي بكر، وكان بطل المسرح عمر بن الخطاب، الذي استخدم سيفه وسيلةً لأخذ البيعة من المسلمين، فمرةً يهدّد بالسيف، وثانيةً ينذر الأنصار والحباب بن المنذر بالهلاك، وثالثةً يأمر بقتل سعد بن عبادة، ورابعةً يضع الحطب على باب فاطمة بنت الرسول ليحرقها ومن فيها، وخامسةً يهدّد الإمام عليّ بالقتل إن لم يبايع.

فلا نجد موقفاً من مواقف عمر بن الخطاب يوافق الشريعة الغرّاء؛ فجميع مواقفه خلاف القرآن والسنّة. وقد عرفت في ما ذكرناه من نصوص كيف تحرّك عمر لحسم النزاع بين المهاجرين والأنصار.

فبورك من خليفةٍ يضع السيف على عاتقه والحطب إلى جنبه ليأخذ البيعة لغيره، ومن ثمّ لنفسه! بأسلوبٍ صارخ قلّ نظيره في تاريخ الأديان، ممّا أعقب هذا الأسلوب الفجائع والويلات، ولا زالت الأمّة الإسلاميّة مثقلة بالفجائع إلى يومنا هذا بسبب انحراف رجالها المتنفّذين وعدم لياقتهم للسلطة، ممّا قاله أبو بكر بعدما استتبّ لـه الأمر: (...ولقد قلّدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولوددت أنّي وجدت

(١) الإمامة والسياسة١٩ ـ ٢٠. والعقد الفريد٢: ٢٥٠. ومروج الذهب١: ٤١٤. وتأريخ اليعقوبي٢: ١٠٥. وشرح ابن أبي الحديد١: ١٣٤ و٢: ١٩. وتأريخ ابن شحنة في هامش الكامل٧: ١٦٤.

أقوى الناس عليه مكاني، فأطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم، ثمّ بكى.

وقال: اعلموا أيّها الناس، إنّي لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيّركم، ولوددت أنّ بعضكم كفانيه، ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي، وما أنا إلاّ كأحدكم، فإذا رأيتموني قد استقمت فاتّبعوني، وإن زغت فقوّموني، واعلموا: أنّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني. لا اؤثر في أشعاركم وأبشاركم...)[1].

هذا هو الواقع، والتأريخ هو الشاهد، فما عسى أن نقول...!

إنّها حلقة من سلسلة طويلة ابتدأت ببيعة أبي بكر، والذي قال عنها عمر بن الخطّاب: (... فلا يغرّنّ امرءاً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتةً، فقد كانت كذلك، غير أنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطّع إليه الأعناق مثل أبي بكر...)[2].

خليفة يصرّح بأنّ لـه شيطاناً يعتريه، فإذا غضب فعليهم أن يجتنبوه، وإذا... ثمّ يأتي الخليفة الثاني فيقول: إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى

(١) الإمامة والسياسة: ٢٢. طبقات ابن سعد٣: ١٥١. كنز العمال٣: ١٢٦. وشرح النهج ٣: ٨ و٤: ١٦٧. سيرة ابن هشام٤: ٣٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٦. وشرح النهج ١: ١٢٣. والصواعق المحرقة: ٢١. والتمهيد للباقلاني: ١٩٦.

الله المسلمين شرّها... إذاً علام ذاك التهديد أيها المنصفون؟ فهل يبقى لمقياس الصحبة أثر؟! وهل لا زلتم تقولون بعدالة كلّ الصحابة؟! إنها مكابرة وضلال.

نلفت القارئ إلى النقاط التالية:

أوّلاً: مجيء القوم بالحطب على باب دار فاطمة عليها السلام لحرقه.

ثانياً: جرأة عمر بن الخطّاب وإقدامه لحرق الباب وإن كانت فيه فاطمة.

ثالثاً: ادّعاء أبي بكر منصب الخلافة وعليّ يردّ عليهم: (لسريع ما كذبتم على رسول الله).

رابعاً: ادّعائه إمرة المؤمنين، وعلي عليه السلام يؤنّبه: (لقد ادّعى ما ليس لـه).

خامساً: مجيء عمر وقنفذ وخالد بن الوليد وجماعة وهجومهم على الدار و... و... واستخراج عليّ عليه السلام من بيته قهراً.

سادساً: تهديد الإمام عليّ بالقتل إن لم يبايع.

نتائج ما تقدم:

١ـ انّ القوم جميعاً ـ السنّة ـ والخلفاء الثلاثة في مقدّمتهم يزعمون أنّ رسول الله مات ولم يستخلف أحداً، وهم في تنصيب أبي بكر يضفون عليه لقب (خليفة رسول الله)، فكيف يصبح خليفة والرسول ـ كما تزعمون ـ لم يخلّف؟!

ثمّ بعدها صيّر نفسه (أمير المؤمنين)، وهذا ادّعاء كبير ليس لـه أبداً.

٢ـ علام هذا البكاء الطويل من الخليفة أبي بكر؟! إنّه بكى مرّتين.

لا شك أنّ قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الحق، وأنّ اعتراضه على مدّعي الخلافة كان في محلّه، وأنّ الرجل قد زيّنت لـه الحياة الدنيا وافتتن بها، قال تعالى: ﴿الم * أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الـكاذبين﴾[1].

٣ـ ما المسوّغ في هجوم القوم على دار الزهراء عليها السلام؟ ألم يوصِ النبي صلى الله عليه وآله المسلمين؟ إذ أنّ المرء يحفظ في ولده، فهل رعوا حرمة النبي؟ وهل حفظوا ذريته من بعده وهو القائل صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك؟»[2]. قال الحاكم في (المستدرك على الصحيحين): هذا حديث صحيح الإسناد[3].

---

(١) العنكبوت: ١ ـ ٣.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٣.

(٣) انظر: أسد الغابة لابـن الأثير: ٥: ٥٢٢. الإصابة في معرفة الـصحابة لابـن حجر ٨: ١٥٩. تهذيب التهـذيب ١٢: ٤٤١. كنز العمال للمتقي الهندي ٧: ١١١. ميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٧٢.

والنصّ المتقدم يكشف عن منزلة فاطمة عند الله وعند رسوله، وهناك أحاديث كثيرة تفصح عن مقام الزهراء عليها السلام وقد سمعها جميع الصحابة، منها:

قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»[2].

أقول: استدل السهيلي من حديث: «إنّ الله يغضب لغضب فاطمة» على أنّ من سبّها كفر؛ لأنّه يغضبه، وأنّها أفضل من الشيخين[3].

أمّا الأخبار فقد تواترت في أنّ أبا بكر وعمر قد أغضبا فاطمة عليها السلام فهجرتها حتّى توفيت، وإليك بعض تلك الأخبار من كتب الصحاح:

روى البخاري في كتاب الخمس بسنده عن عروة بن الزبير: أنّ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق في باب مناقب قرابة رسول الله، رواه البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة. وكنز العمال ٦: ٢٢٠، أخرجه ابن أبي شيبة، وفيض القدير ٤: ٤٢١. وخصائص النسائي: ٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح في باب ذب الرجل عن ابنته، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، والترمذي في صحيحه، والحنبلي في مسنده والحاكم في مستدركه، والبيهقي في سننه.

(٣) انظر: فيض القدير ٤: ٤٢١.

عائشة أم المؤمنين أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أنّ يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورّث، ما تركناه صدقة.

فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل هاجرة لــه حتّى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممّا ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقة بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك[1].

ومثله رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب غزوة خيبر، بسنده عن عروه عن عائشة.

وفي كتاب الفرائض من (صحيح البخاري) روى بسنده عن عروة، عن عائشة: أنّ فاطمة عليها السلام والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورّث ما تركناه صدقة... إلى أن قال: فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الخمس، الحديث الثاني. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٦. ورواه البيهقي في سننه٦: ٣٠٠. ورواه ابن سعد في طبقاته٨: ١٨.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ١: ٩.

ربما تسأل عن سبب غضب فاطمة على أبي بكر وعمر.

والجواب كما مرّ عليك قبل قليل، هو أنّ الخليفة منع فاطمة من إرثها من خيبر وفدك وما أفاء الله على نبيّه، وقد جاء أبو بكر وعمر لعيادة فاطمة فلم تأذن لهما، ثمّ دخلا بإذن من علي عليه السلام فحوّلت فاطمة وجهها إلى الحائط، ثمّ سمعت مناشدتها إيّاهما فاعترفا بأنّهما أغضبا فاطمة، لذا هجرتهما ولم تكلّمهما حتّى ماتت.

وقد أوصت أن تدفن ليلاً وأ لاّ يحضر تشييع جنازتها كلّ من أغضبها؛ وذلك لشدة تأذّيها.

ثمّ ماذا تفسّر أنّ فاطمة لم تردّ السلام على أبي بكر وعمر، أليس صريح القرآن يوجب ردّ السلام على المسلم؟! إنّها عملت بتكليفها الشرعي وهي ابنت الرسول الصادع بالرسالة من السماء. ثمّ ماذا تفسّر قولها لأبي بكر وعمر: لئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه، ولأدعونّ الله عليكما في كلّ صلاة أصلّيها؟!

كيف كانت بيعة عمر بن الخطاب؟

إنّ كلّ الويلات التي أصابت الأمّة الإسلاميّة وجرّعتها مرارة الحياة وغصصها كان سببها النزاع الدائر بين شيوخ المهاجرين والأنصار، كما أنّ الذي مهّد السبيل لغصب الخلافة، وأمات كبرياء العرب، وأطاح بهيبة قريش، وأذلّ كبار المؤمنين من الصحابة إنّما هو

موقف عمر بن الخطّاب من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وتهديده للمسلمين، وإكراه الناس على مبايعة أبي بكر.

أمّا حلبة الصراع ـ فكما تقدّم ـ كانت في سقيفة بني ساعدة، ثمّ توالت الأحداث بسرعة فائقة؛ ولم ينفضّ القوم عن اجتماعهم ذاك إلاّ وسيف الإكراه فوق رؤوسهم يلاحقهم حتّى بايعوا.

كما أنّ حمل الحطب وإضرام النار في باب فاطمة[1] كان أشدّ المواقف خزياً وأجرأها، وهي وصمة عارٍ في جبين التاريخ، ومن أبرز العورات في مسيرة أبي بكر وعمر.

عن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه؛ أنّه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفّي فيه، فأصابه مهتمّاً، فقال لـه عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارئاً فقال أبو بكر: أتراه ؟ قال: نعم قال: إنّي ولّيت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون الأمر لـه دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت.

ثـمّ قال أبو بكر: أجل، إنّي لا آسى على شيءٍ من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددّت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددّت أنّي فعلتهن، وثلاث وددّت أنّي سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله . فأمّا الثلاث اللاتي

(1) انظر: أعلام النساء ٣: ١٢٠٧. العقد الفريد ٢: ٢٥٠. تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦.

وددّت أنّي تركتهنّ: فوددّت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء...)[1].

لقد ندم ابن أبي قحافة لّما أمرهم على أن يحملوا الحطب ويضرموا النار على الزهراء فاطمة وبعلها عليّ بن أبي طالب.

إنّها الدنيا، الرئاسة، الملك العضوض، لقد ندم، ولات ساعة مندم.

بضعة المصطفى، إنّها روح النبيّ التي بين جنبيه، يغضب لغضبها، ويفرح لفرحها، ومع كلّ الذي جرى، واعتراف أبي بكر بما جنته يداه، فيأتي بمؤامرة أخرى حين وفاته فيقدم على تنصيب عمر بن الخطّاب دون مشورة المسلمين في ذلك.

عن يونس بن عمرو، عن أبي السّفر، قال: أشرف أبو بكر على الناس من كنيفه وأسماء ابنة عميس ممسكته موشومة اليدين، وهو يقول: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإنّي والله ما ألوت من جهد الرأي ولا ولّيت ذا قرابة، وإنّي قد استخلفت عمر بن الخطّاب فاسمعوا لـه وأطيعوا فقالوا: سمعنا وأطعنا[2].

ما هو المقياس الشرعيّ الذي اعتمده أبو بكر في تعيين عمر واستخلافه؟! ألم يقل أبو بكر: ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني

(1) تاريخ الطبري ٢: ٦١٩. وأخرجه أبو عبيدة في الأموال: ١٣١. والعقد الفريد ٢: ٢٥٤، ومروج الذهب ١: ٤١٤.

(2) تاريخ الطبري ٢: ٦١٨.

فاجتنبوني؟! ألم يقل أبو بكر: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء[1]؟! ألم يقل: وددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السّلمي، وأنّي كنت قتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً؟!

ألم يقل: وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً؟!

ألم يكن هو وصاحبه ممّن نزلت فيهما وفي تسعة آخرين آية تحريم الخمر؟! حيث شربها القوم إلى سنة ثمان للهجرة وهي عام فتح مكّة، وقد شربوها في الجاهلية، وآخر شراب لهم في الإسلام كان عام ثمان للهجرة في دار أبي طلحة زيد بن سهل، وكان ساقيهم أنس بن مالك كما في (صحيح البخاري)، كتاب التفسير، آية الخمر في سورة المائدة.

كما أورد الخبر مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر والسيوطيّ في تفسيره (الدرّ المنثور ٢: ٣٢١) أخرجه عن عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، عن أنس وأخرجه الطبري في تفسيره ٧: ٢٤، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣: ١٨١ و٢٢٧، والبيهقي في سننه ٨: ٢٨٦ و٢٩٠.

لقد ذكر ابن حجر في (فتح الباري)[2] عشرة أشخاص ممّن كانوا

(١) الإمامة والسياسة: ٢٤.

(١) فتح الباري ١٠: ٣٧ وما بعدها، ط بيروت، دار المعرفة.

في بيت أبي طلحة زيد بن سهل، وهم:

١ـ أبو بكر ابن أبي قحافة، وكان عمره آنذاك ٥٨ سنة. ٢ـ عمر بن الخطّاب، وكان عمره آنذاك ٤٥ سنة. ٣ـ أبو عبيدة بن الجرّاح، وكان عمره ٤٨ سنة. ٤ـ أبو طلحة زيد بن سهل، صاحب الدار الذي اجتمع فيه القوم المدرجة أسماؤهم، وبيته نادي شرابهم، وكان له من العمر ٤٤ سنة. ٥ـ سهيل بن بيضاء، توفي عام ٩ للهجرة وهو طاعن في السنّ. ٦ـ أبي بن كعب. ٧ـ أبو دجانة، سماك بن خراشة. ٨ـ أبو بكر بن شغوب. ٩ـ أنس بن مالك، حيث قال كما في (سنن البيهقي): إنّي لقائم أسقيهم وأنا أصغر القوم[1]. ١٠ـ معاذ بن جبل[2]، وكان له من العمر ٢٣ سنة، وتوفّي في خلافة عمر سنة (١٨هـ)، عن عمرٍ ناهز الثلاثين.

هل يصلح أحد هؤلاء القوم للخلافة وبين ظهراني المسلمين والصحابة من لم يعرفها ـ الخمر ـ ولم يشربها طيلة عمره؟! هل يصلح أحد هؤلاء ومن بين المسلمين من هو أعلم منهم، ومن هو بالزهد والورع والتقوى والإيمان أشهر من أن يذكر؟!

فأوّل من آمن بالله وبالرسول وأسلم وجهه للدين الحنيف هو عليّ بن أبي طالب، وقد أجمعت المصادر على أنه لم يسجد لصنم ولم

(١) سنن البيهقي ٨: ٢٩.

(٢) مجمع الزوائد ٥: ٥٢. تفسير الطبري ٧: ٢٤. شرح النوويّ على هامش إرشاد الساري للقسطلاني ٨: ٢٣٢.

يشرك بالله طرفة عين!

إذاً لم أقصوه عن الخلافة؟ ولم تركوا النبيّ مسجّىً في بيته وبعد لم يباشر بتجهيزه ومن حوله بنو هاشم في عزاءٍ وثكل؟ ولم حملوا الحطب إلى دار فاطمة ليحرقوه على من فيه من أهل البيت؟

عشرات الأسئلة تختلج في الصدر، وإنّ قلوب المؤمنين لتعتصر ألماً وحزناً لما قام به الشيخان، حيث أوقعا الامّة في صِراع دمويّ إلى يومنا هذا..

لقد عرفت مما سبق أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها، وقد حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة[1]. وهو الذي قال في يوم السقيفة: (من بايع أميراً عن غير مشورة فلا بيعة لـه، ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتلا)[2]. وهو الذي قال لابن عبّاس: يا بن عبّاس، ما أظنّ صاحبك إلاّ مظلوماً! وقد أجابه ابن عبّاس: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر[3].

وهو الذي قال لابن عبّاس: لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر[4]. وهو القائل: إنّا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن

---

(١) شرح النهج ١: ١٢٣. التمهيد للباقلاني: ١٩٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٦. صحيح البخاري ١٠: ٤٤، باب رجم الحبلى من الزنا. وأنساب البلاذري ٥: ١٥.

(٣) شرح النهج ٢: ١٨.

(٤) شرح النهج ١: ١٣٤.

استصغرناه، وحسبنا ألاّ يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها. فردّ عليه ابن عبّاس إذ قال لعمر: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك[1].

وهو القائل ـ لمّا طعن ـ: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم، يعني: علياً. فقال لـه ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم علياً؟ قال: أكره أن أحملها حيّاً وميتاً[2].

لو تجاوزنا هذه الأقاويل فماذا نصادف في استخلاف أبي بكر؟

فإنّ لدينا روايات صحيحة، منها ما في (تاريخ الطبري) بإسناده عن إسماعيل عن قيس، قال: رأيت عمر بن الخطّاب وهو يجلس والناس معه وبيده جريدة وهو يقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله عليه السلام، إنّه يقول: إنّي لم الكم نصحاً. قال ومعه مولىً لأبي بكر يقال لـه: شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر[3].

لا نعرف متى كتبت الصحيفة؟ ومتى استخلف الأوّل الثاني؟ ومن هم الشهود على هذا الاستخلاف؟ وربّما يكون الأمر مدبّراً من الثاني كما عرفت حيال بيعة أبي بكر.

وعن الواقدي بسنده قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً، فقال لـه:

---

(١) كنز العمال ٦:٣٩١.

(٢) أنساب البلاذري ٥: ١٦. الاستيعاب ٢: ٤١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦١٨.

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين: أمّا بعد قال: ثـمّ أغمي عليه فذهب عنه فكتب عثمان: أمّا بعد، فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم آلكم خيراً منه ثـمّ أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي؟ قال: نعم قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرّها أبو بكر [1].

هذا مجمل بيعة الخليفة الثاني، ولا يعذر أحد فيها؛ لأنّ الرواية الأخيرة ـ المذكورة آنفاً - إنّما اختاره عثمان، ولمّا كتب الكتاب أفاق أبو بكر فلم يجرؤ على تغيير ما كتبه عثمان، بل أقرّه كما هو حتّى ينجو من المشكلة.

وكيفما كان، فلم تكن البيعة وفق المقاييس الشرعيّة، وقبل أسطر قد أثبتنا جملةً من أقوال عمر في شأن الخلافة والمشورة فيها!

فكيف يرضى بصنع عثمان وإقرار أبي بكر دون أن يشاوروا المسلمين فيها؟ يجيب على ذلك الإمام عليّ عليه السلام يوم حملوه على مبايعة الأوّل، وإلاّ تضرب عنقه، وهو يقول لهم: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله. وهو القائل لهم: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا ابايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي. فقال لـه عمر: إنك لست متروكاً حتّى تبايع. فقال لـه عليّ: احلب حلباً لك شطره، واشدد لـه اليوم أمره يردده عليك

(1) تاريخ ابن جرير ٢/ ٦١٩.

غداً[1].

وإلى هذا وذاك أشار عليه السلام في خطبته الشقشقيّة، فقال:

«أما والله لقد تقمّصها فلان ـ ابن أبي قحافة ـ وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه.

فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده... فياعجباً ! بيناهو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ـ لشدّما تشطّرا ضرعيها ـ ! فصيّرها في حوزةٍ خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن اشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس ـ لعمر الله ـ بخبطٍ وشماس، وتلوّنٍ واعتراض، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعةٍ زعم أنّي أحدهم. فيا لله وللشورى!... » [2].

(1) أي: افعل فعلاً يكون لك منه نصيب، فأنت تبايعه اليوم وغداً يجرّها لـك، فبنصرتك اليوم لـه يردّها إليك غداً مضمونة.

(2) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقيّة.

تنبئك هذه الخطبة عن خلاصة الأحداث وسير الخلافة والأسلوب الذي اتّبعه القوم، فيتقمّصها الأول بالقوّة والقهر والغلبة ويدلي بها إلى الثاني فيستخلفه رغم أنف المسلمين، ويصيّرها الثاني شورى في ستّةٍ منهم عليّ بن أبي طالب.

وعليه، يشكو الإمام عليّ من هذا التصرف ويستاء منه، فيقول: «متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟».

أراد ابن أبي الحديد أن يعتذر عن القوم في شأن غصب الخلافة، فأورد مثالاً لا طعم فيه، مع اعترافه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل والأحق، وعدل عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، قال: ألا ترى أنّ البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة فيجعل السلطان الأنقص علماً منهما قاضياً فيتوجّد الأعظم ويتألّم وينفث أحياناً بالشكوى ولا يكون ذلك طعناً في القاضي وتفسيقه، ولا حكماً منه بأنّه غير صالح، بل العدول عن الأحقّ والأولى.

يقول: هذا أمر مركوز في طباع البشر، ومجعول في أصل الغريزة والفطرة.

أقول: والرد على ابن أبي الحديد من عدّة وجوه:

أولاً: كيف قاس بين السلطان وما يأمره، وبين الخالق الواحد الذي أمره الصواب، وطاعته فرض، والمخالف لـه هالك لا محال؟!

ثانياً: من أين جاء الارتكاز في طباع البشر على تقديم المفضول على الفاضل؟!

ثالثاً: لو جاءنا بمثال يؤيّد أنّ تقديم المفضول من أصل الفطرة. على أنّ الأمر على العكس تماماً.

رابعاً: أنّ ابن أبي الحديد أشار إلى قول الإمامية في النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام من قبل النبيّ ولم يأت بما يخالفهم، وهذا اعتراف ضمني بأحقيّة الإمام بالخلافة، فهو المنصوص بها ولا مبرّر لغيره أن يتصدّى.

خامساً: ادعى أنّ مصلحة الإسلام اقتضت تنصيب الأول. عجباً! من الذي يعيّن هذه المصلحة، إجماع الأمة، أم نفر هم بمعزل عن كبار الصحابة وأسرة النبيّ؟

سادساً: وأية فتنة بعد تلك التي كانت في السقيفة وما تلاها من ويلات ومحن؟!

قوله عليه السلام: **«حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان ـ ابن الخطاب ـ بعده»**، مضى الأوّل أي أبي بكر كما عرفت، لسبيله أي على سبيله. فأدلى بها من قوله تعالى: **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام﴾**[1]، أي تدفعوها إليهم رشوة. وأصله من أدليت الدلو في البئر أرسلتها، وأراد عليه السلام بالإدلاء أي دفع الخلافة

(١) البقرة: ٨٨.

وتسليمها إلى من لا يستحقّها، كمن يدفع ماله إلى الحاكم فإنّه إخراج للمال إلى غير وجهة، فكان ذلك من باب الاستعارة.

بوادر الشورى والبيعة لعثمان:

أدرك الخليفة الثاني أنّ بيعة أبي بكر لم تنل رضا المسلمين، ولم يجتمعوا إليه إلاّ بالقهر والغلبة، وقد بان التحزّب، وظهرت الأضغان، وكادت الجاهلية تحلّ بين القوم.

ثـمّ إنّ استخلاف أبي بكر لعمر كان واضحاً في أذهان المسلمين، إنّها المغامرة الثانية التي أثارت حفيظة المسلمين، وبالخصوص بلاد الشام[1]، إذ ـ مسبقاً ـ كانوا على اطلاع من غلظة الخليفة وقسوته وخشونته مع المسلمين، لا لشيء وإنّما هكذا كان فظّاً غليظاً.

ومهما يكن من أمر فإنّ الخليفة الثاني لم يرغب في أن يصرّح بالذي يضمره في قلبه، وهو محاباته لعثمان بن عفّان الذي لـه أيادٍ بيضاء في صنع المعروف، حيث ذكرنا آنفاً كيف تمّت وصيّة أبي بكر، وكيف أدلى عثمان برأيه في الخلافة، وباقتراح منه دون أن يملي عليه الأوّل. إنّه معروف وجميل كبير لابدّ أن يشكر عليه، فهل ترى يغفل الثاني ترك الحبل على الغارب دون أن يجعل لعثمان فيه نصيباً؟

(١) الإمامة والسياسة: ٢٥.

ومع ذلك فهو أمر دبّر في ليل، فاتّفقوا أن يجعلوها ـ أي الخلافة ـ شورىً حتّى يغيّب الأمر على الناس، ويظهر الخليفة أمامهم بوجه مرضيٍّ جميل. علماً بأنّ في بادئ ذي بدء أظهر الخليفة تردّده في الاستخلاف، ممّا استكشف ابن عمر أن أباه غير مستخلف.

روى البيهقي وابن كثير وأحمد بن حنبل: أنّ عمر لمّا طعن قيل لـه: لو استخلفت؟ فقال: أتحمّل أمركم حيّاً وميّتاً؟ إن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ منّي أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي رسول الله ﷺ قال عبد الله: فعلمت أنّه غير مستخلف[1].

وفي موقف آخر يتمنّى عمر بن الخطّاب لو أنّ أبا عبيدة بن الجرّاح كان حيّاً حتّى يقلّده الخلافة، بل أكثر من هذا تمنّى سالماً مولى أبي حذيفة حيّاً حتّى يستخلفه، هكذا وصل به أن يقلّد الخلافة العبيد وحفّاري القبور في المدينة، متنكّراً لكبار الصحابة كالمقداد وعمّار وسلمان وأبي ذرّ والعبّاس ومعاذ وأبي أيّوب وعلي بن أبي طالب الذي يعدّ على رأس هؤلاء الصحابة!

نقل ابن جرير بسنده عن عمرو بن ميمون الأوديّ: أنّ عمر بن الخطّاب لمّا طعن قيل لـه: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت؟

قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيّاً استخلفته،

(١) سنن البيهقي ٨: ١٤٨. وتاريخ ابن كثير ٥: ٥٠. مسند أحمد ١: ٤٣ و٤٦. كما أخرجه البخاريّ ومسلم.

فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمّة. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً استخلفته، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديد الحبّ لله فقال لـه رجل: أدلّك عليه؟ عبدالله بن عمر.

فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا. ويحك، كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟! لا أرب لنا في أموركم ما حمدتها، فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شرّاً فشرعنا إلى عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمّة محمد.

أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إنّي لسعيد، وأنظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي، ولن يضيّع الله دينه.

فخرجوا، ثمّ راحوا، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، لو عهدت عهداً؟ فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمركم، هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى عليّ ـ ورهقتني غشية، فرأيت رجلاً دخل جنّة قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضمّه إليه ويصيّره تحته، فعلمت أنّ الله غالب أمره، ومتوف عمر، فما أريد أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً. عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّهم من أهل الجنّة: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست

مدخله، ولكن الستّة: عليّ وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وآله، والزبير بن العوّام حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّته، وطلحة الخير بن عبيدالله[1].

أقول: عجباً لعمر بن الخطّاب أن يتمنّى حياة حفّار القبور أبي عبيدة ابن الجرّاح ليقلّده الخلافة؛ لأنه سمع فيه حديثاً واحداً من الرسول صلى الله عليه وآله! بل أعجب من ذلك أنّه يتمنّى حياة سالم مولى أبي حذيفة ليقلّده الخلافة؛ لأنّه سمع فيه ـ أيضاً ـ حديثاً واحداً من الرسول صلى الله عليه وآله!

عجباً للخليفة أن يتمنّى وجود هذين حيّين لأنّه سمع فيهما حديثاً واحداً، وقد سمع في عليّ بن أبي طالب عشرات، بل مئات الأحاديث قد خصّها الرسول به، وكلّها تنصّ على فضائل الإمام ومنزلته عند الله!

ألم تكن تلك الأحاديث الصادرة من الرسول صلى الله عليه وآله كافيةً كي تؤهّل الإمام للخلافة؟ فعلام يتمنّى عمر حياة أمثال سالم وأبي عبيدة الجرّاح؟!

فهل غاب عن ذهن عمر منزلة عليّ بن أبي طالب وقربه من الرسول، أو أنّه لم يسمع تلك الأحاديث من صاحب الرسالة؟

أما الشورى التي حصرها الخليفة الثاني في ستّة، فهم:

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٢. العقد الفريد ٢: ٢٥٦.

١ـ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابن عمّ الرسول وأخوه وصهره على ابنته فاطمة عليها السلام، ويمثّل ثقل بني هاشم.

٢ ـ عثمان بن عفان، ويمثّل بني أمية.

٣ـ عبد الرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

٤ـ سعد بن أبي وقّاص، وهو ابن عمّ عبد الرحمن.

٥ـ الزبير بن العوّام، وهو ابن صفية بنت عبد المطّلب عمّة الرسول صلى الله عليه وآله.

٦ـ طلحة بن عبيدالله، أحد الصحابة.

ولو ألقينا نظرةً فاحصةً على هؤلاء فنجدهم في ميولهم السياسي يشكّلون فريقين:

الفريق الأول: يضم عثمان بن عفّان، وصهره عبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقّاص الذي هو وعبد الرحمن من فرع واحد. وهؤلاء الثلاثة قد اجتمعت كلمتهم على مبايعة عثمان.

الفريق الثاني: وتكاد الألفة تنعدم بينهم، بل إنّ ميول طلحة لا غبار عليه فهو إلى عثمان وإن لم يكن حاضراً، لذا جعل الخليفة الثاني غاية التشاور إلى ثلاثة أيّام، وكأنّما اطمأنّوا في عدم حضور طلحة في الشورى، لذا رجّحت كفّة الفريق الأوّل بغياب طلحة.

وعليه، فلم يبق من الفريق الثاني إلاّ عليّ والزبير، فكيفما دارت المشورة فهي من صالح عثمان وجماعته؛ لأنّ عبد الرحمن خلع نفسه

وتركها لصاحبيه، وأمّا عثمان فقبلها، ثمّ تنازل سعد لعثمان لمّا وجد ابن عمّه ـ عبد الرحمن ـ قد خلعها من نفسه وأدلى بها لعثمان.

فمن الطبيعيّ أن يتمّ الأمر قهراً لابن عفّان، فلو فارق عليّ والزبير الجماعة مع فرض أنّهما يشكّلان جبهة معارضة، فإنّ الغلبة للثلاثة دون الاثنين. كما أنّ سيف صهيب المسلول مأذون بإطاحة رؤوس المعارضة بإيعاز من عمر بن الخطّاب.

وقد تنبأ الخليفة الثاني للنتيجة الحتميّة، إن لم نقل إنّ الأمر دبّر ليلاً.

ثمّ إنّ تقييمه للستّة يكشف عن خيوط المؤامرة.

قال: وما أظنّ أن يلي إلاّ أحد هذين الرجلين؛ عليّ أو عثمان، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي عليّ ففيه دعابة[1] وأحرى به أن يحملهم على طريق الحقّ. وإن ولّوا سعداً فأهلها هو، وإلاّ فليستعن به الوالي، فإنّي لم أعزله عن خيانة ولا ضعف[2]. ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مدد رشيد، لـه من الله حافظ، فاسمعوا منه[3].

---

(١) وفي الأنساب للبلاذري ٥: ١٦. فيه بطالة وفكاهة.

(٢) وفي رواية ابن عبّاس: ذلك صاحب مقنب وقتال لا يقوم بقرية لو حمل أمرها. الأنساب ٥: ١٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٤. وفي الأنساب ٥: ١٦ قال: هو رجل صالح على ضعف.

وفي رواية البلاذري كما عن ابن عبّاس، وقد أشار إلى طلحة، قال: فأين الزهو والنخوة؟ قلت: فالزبير؟ قال: لقيس مؤمن الرضا، كافر الغضب، شحيحٌ. إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ لقويٍّ في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف. قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه[1].

وعليه ـ بعد هذا التقييم ـ فلابدّ من تنفيذ الأمر. فما هي الأدوار في الشورى؟ ومن هم أبطالها؟ الشاهد على مسيرة القوم في المشاورة هو عبد الرحمن بن عمر. السيّاف الذي يتولّى قتل من يخالف هو صهيب مولى عمر. المشورة تتمّ صورتها النهائيّة بطرف ثالث، وهو عبدالله بن عمر الذي لا يحسن طلاق امرأته كما صرّح به والده عمر.

مكان الشورى دار المسوّر بن مخرمة، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف. بطل الموقف في التحرّك السياسيّ والمنسّق بين هؤلاء عبد الرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان.

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني:

قال عمر للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتّى يختاروا رجلاً منهم.

(١) الأنساب ٥: ١٦.

وقال لصهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيّام، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شيء لـه من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف. وإن اتّفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما.

فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكّموا عبدالله بن عمر، فأيّ الفريقين حكم لـه فليختاروا رجلاً منهم.

فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس[1].

لم يتأخر صهيب في تنفيذ قرارات سيّده، كما أنّ عبد الرحمن بن عوف قام بالمهمّة في أحسن دور، فأوّل عملٍ قام به هو خلع نفسه من هذه الخلافة وأدلى برأيه إلى عثمان، وبعد هذا أخذ يلعب دور السفير بين الأطراف، فاتصل أوّلاً بالزبير، ثمّ بسعد، ثمّ بعلي، ثمّ بعثمان، وأخيراً اتّصل بجميع الأنصار والمهاجرين وخطب فيهم، وحاول أن يكشف عن رغبات كبار الصحابة، فاستشارهم، فأشاروا عليه.

فهذا عمّار يصرّح أنّ عليّاً أولى القوم بالخلافة، ويقوم المقداد ليؤكّد ذلك، ثمّ ينهض ابن أبي سرح فيشير إلى عثمان، ويقوم عبدالله بن أبي ربيعة ليقف إلى صف ابن أبي سرح. ثمّ ينفجر الموقف بتشاجر بين

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٤.

شيوخ بني هاشم وكبار بني أميّة، ويحسم الموقف سعد بن أبي وقّاص، فيشير إلى عبد الرحمن بقوله: أفرغ قبل أن يفتتن الناس.

فما هي إلاّ دقائق حتّى يرقى ابن عفّان، وسيف صهيب يبرق على رؤوس الآخرين من أعضاء الشورى، وكادت أن تقع الفتنة لو لا أن بايع الإمام، وكانت بيعته هنا كبيعته للأوّل[1].

هكذا تمّت البيعة لعثمان بسيف عمر بن الخطّاب الذي سلّه مولاه صهيب على رؤوس الخمسة من أهل الشورى، والمعني في التهديد هو علي لا غير.

وهذه هي البيعة الثالثة التي تؤخذ بالقوة والغلبة، وكما اتّضح كسوابقها لم تكن بنصّ من القرآن ولا من سنّة النبيّ، إذاً هي خلاف الموازين الشرعيّة.

ثمّ لا يخفى عليك وأنت جدّ عليم أنّ الموازين الشرعيّة عندما تغيب عن الساحة السياسية، وتلعب الأهواء والميولات في عقول أهل الحلّ والعقد، وينطق السيف في كلّ وادٍ ونادٍ، فلا عجب أن تخلق تلك الأجواء الموبوءة رجال سوءٍ وساسة لهم في السلطة أطماع ومصالح، والذي حصل أن يتصدى لإدارة شؤون المسلمين جملة من الولاة

(١) لم ترد في مصادرنا الخاصة كيفية هذه البيعة، بل أجمعت مصادر الشيعة على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع لأبي بكر وعمر وعثمان طوعاً، بل حاججهم ونصحهم زمناً طويلا ثمّ بايعهم وهو مكره حفاظاً على وحدة الأمة وتلافياً للفتنة، وما ورد إنّما هو من مصادر أهل السنّة.

والأمراء الفسقة المنحرفين، الذين عرفوا بظلمهم وجحودهم وفسقهم وتجرّئهم على الله والرسول والمؤمنين.

ونحن لا نريد التعرّض لمساوئ وأفعال الخلفاء والقادة السياسيّين والقضاة وجباة الأموال، لكن يكفي أن نذكر سيّئةً واحدةً في المقام، وهي تولية معاوية قيادة فلسطين والأردن ثمّ الشام منذ عهد عمر بن الخطّاب سنة (١٣ هجرية) إلى وفاة معاوية سنة (٦٠ للهجرة).

وجرائم معاوية كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، وعلى رأسها:

١ـ مواجهته للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وامتناعه من بيعته، وعصيانه في إمارة الشام، ثمّ إشعاله الفتنة، وحربه للإمام في صفّين والخدعة التي استعملها في رفع المصاحف.

٢ـ سبّه لأمير المؤمنين على منابر المسلمين في الشام ومصر والحجاز وبقيّة الأمصار.

٣ـ سمّه للإمام الحسن السبط عليه السلام.

٤ـ قتله لحواريّ رسول الله وأمير المؤمنين، أمثال: الصحابي عمّار بن ياسر، ورشيد الهجري، وميثم التمّار، وحجر بن عديّ الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصيفي بن غسيل، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وعبدالله بن خليفة الطائي، والأرقم بن عبدالله، وشريك بن شدّاد، وكريم بن عفيف، وعاصم بن عوف، وورقاء بن سمّي، وكدام بن حيّان، وعبد الرحمن بن حسّان، ومحرز بن شهاب، وعبدالله بن

حويّة، ومالك الأشتر النخعي، ومحمّد بن أبي بكر، وغيرهم.

٥ـ بعثه بسر بن أرطاة في جيش إلى المدينة واليمن وأمره بأن يقتل من يوالي عليّاً، ويروّع النساء ويخيفهم، حتّى قتل ابني عبيدالله بن عبّاس، وهما عبد الرحمن وقثم، وكانا طفلين صغيرين، فذهلت امّها لمّا خبّروها بقتلها حتّى أخذت تطوف بين الناس في الحجيج وهي تقول:

يا من أحسّ بابنيّ اللـذين هما ... كالدرّتين تشظّى عنها الصدف

يا من أحسّ بابنيّ اللـذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهف

يا من أحسّ بابنيّ اللـذين هما ... مخّ العظام فمخّي اليوم مختطف

نبّئت بسراً وما صدّقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحى على ودجي ابنيّ مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإفك يقترف

حتّى لقيت رجالاً من أرومته ... شمّ الأنوف لهم في قومهم شرف

فالآن ألعن بسراً حقّ لعنته ... هذا لعمر أبي بسرٍ هو السرف

من دلّ والهةً حرّى مولّهةً ... على صبيّين ضلاّ إذ غدا السلف[1]

***

(١) انظر هذه الحادثة في: الأغاني لأبي الفرج ١٥: ٤٤. النزاع والتخاصم: ١٣. الكامل لابن الأثير٣: ١٦٢. تاريخ ابن كثير ٧: ٣١٩. الاستيعاب ١: ٦٥. تاريخ ابن عساكر٣: ٢٢٠.

الفصل الثالث

قوله ﷺ في خطبته: «يستقيلها في حياته...» مشيراً إلى أبي بكر

خير ما نستدل به على سيرة الخليفة أبي بكر هو كلامه الصادر في مناسبات عديدة، من ذلك:

١ـ نقل ابن سعد بسنده عن الحسن، قال: لمّا بويع أبو بكر قام خطيباً فقال: (.. أمّا بعد، فإنّي ولّيت هذا الأمر وأنا لـه كاره... وإنّما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم، فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني، وإن رأيتموني زغت فقوّموني، واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني)[1].

٢ـ روى المتقي الهندي بسنده عن الحسن: أنّ أبا بكر خطب فقال: (... افتظنّون أنّي أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ؟ إذاً لا أقوم

(١) طبقات ابن سعد ج٣، القسم١، ص١٢٩. الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٦. مجمع الزوائد للهيثمي ٥: ١٨٣.

بها، إنّ رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني)(١).

وفي خطبة أبي بكر عدّة أمور:

أوّلاً: انّه كان كارهاً للخلافة (ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً).

ثانياً: لهّ يتنكّب عن النهج النبوي (أفتظنون أنّي اعمل فيكم بسنة رسول الله؛ إذاً لا أقوم بها...).

ثالثاً: انّ الرسول كان مسدّداً من الله وأنّه معصوم بالوحي والملك.

رابعاً: انّ لأبي بكر شيطاناً يعتريه (وإنّ لي شيطاناً يعتريني).

خامساً: انّ الخليفة تعتريه حالات من الغضب، فعلى المسلمين أن يتجنّبوه. إنّها أمور مهمة جداً، حيث إنّه اعتراف من الخليفة بعصمة النبيّ ﷺ، أمّا هو فغير معصوم، أي يخطأ ويعصي ويرتكب المحرّم ويظلم وإلى ما شابه ذلك.

ثمّ إنّ لـه شيطاناً، وهذا ما لا يمكن ستره أو التغاضي عنه، والقرآن فيه تصريح، قال تعالى: ﴿ومن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾(٣).

---

(١) كنز العمال ٣: ١٣٦.

(٢) النساء: ٣٨.

(٣) الأنعام: ١٢١.

ثمّ الشياطين على قسمين، قال تعالى: ﴿شياطين الإنس والـجنّ﴾(١). وقال تعالى في وصف شياطين الإنس: ﴿يوحي بعضهم إلى بعضٍ زخرف الـقول غروراً﴾(٢).

فماذا يعني كلّ ذلك؟ فهل نطق الخليفة بما هو الواقع؟

إذاً لا بدّ من التسليم بما يصفه القرآن، قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرينٌ﴾(٣)، وإلاّ فقوله تعالى: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلاّ من اتّبعك من الـغاوين وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿إنّه ليس له سلطانٌ على الّذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه والّذين هم به مشركون﴾(٥).

أبو قحافة يرد خلافة ولده أبي بكر:

كتب أبو بكر إلى أبيه (أبي قحافة) يدعوه لأن يبايعه:

(من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة، أمّا بعد، فإنّ الناس قد تراضوا بي، فأنا اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا لكان أحسن بك).

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) الزخرف: ٣٦.

(٤) الحجر: ٤٢.

(٥) النحل: ٩٩.

لمّا ورد الكتاب على أبي قحافة كتب في جوابه: من أبي قحافة إلى أبي بكر، أمّا بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق، ينقض بعضه بعضاً؛ مرة تقول: خليفة الله، ومرة تقول: خليفة رسول الله، ومرة تقول: تراضوا بي الناس! وهو أمر ملتبس، فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه، ويكون عقباك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة، فإنّ للأمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو أولى منك بها، فراقب الله فإنّك تراه وتدعنّ صاحبها، فإنّ تركها اليوم أحق عليك وأسلم لك[1].

الفرار من الزحف:

عن عائشة، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، وكان يقول: (أنا أوّل من فرّ من الحرب)، ثمّ كان يحدّث فيقول: (أنا أوّل من فاء يوم أحد)[2].

والفيء: الرجوع من بعد فرار.

قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار﴾[3].

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ٤١. منهاج البراعة ٣: ٣٦ ـ ٤٠.

(٢) كنز العمال، الحديث: ٣٠٠٢٥.

(٣) الأنفال: ١٥.

أخرج الحديث بألفاظ متشابة أو متقاربة كلّ من: الطيالسي، وابن سعد، وابن حبّان، والدارقطني، والبزار، والطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في المعرفة، وابن عساكر.

أقول: ذكر المناوي في (فيض القدير): أنّ الفرار من الزحف هو من الذنوب التي لا كفّارة لها كالشرك[1].

وفي (شرح الجامع الصغير) للسيوطي جاء في المتن: خمس ليس لهنّ كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق... إلى أن قال: والفرار من الزحف.

***

(١) فيض القدير ٣: ٤٥٨.

الفصل الرابع

قوله عليه السلام: «يغلظ كلمها ويخشن مسها...»

في عبارة الإمام علي عليه السلام كناية عن سيرة عمر بن الخطّاب، وما في سلوكه من خشونة وغلظة، لذا ارتأينا أن نذكر طرفاً من سيرته وصفاته الخاصة.

أخلاق عمر بن الخطاب:

تحدّثت لنا المصادر ـ وبشكل مسهب ـ عن أخلاق الخليفة عمر بن الخطّاب، سواء كان ذلك قبل خلافته أو بعدها.

قال الدميري: قال عمر: إنّ الناس قد هابوا شدّتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، ثمّ اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه؟! ولعمري: من قال ذلك فقد صدق[1].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١: ٤٩.

وقال أبو عمرو: وروي عن عمر أنّه قال في انصرافه من حجّته التي لم يحجّ بعدها: الحمد لله، ولا إله إلا الله، يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادي ـ وادي ضنجان[1] ـ أرعى إبلاً للخطاب، وكان فظّاً غليظاً يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وأصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه[2].

روى الدياربكري، عن جامع بن شداد عن أبيه أنه قال: كان أوّل الكلام تكلّم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللّهمّ إنّي شديد فليّنيّ، وإني ضعيف فقوّني، وإني بخيل فسخّني[3].

وقال ابن أبي الحديد: كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس....

قال ابن ابي الحديد: وكان في اخلاق عمر وألفاظه جفاء ومنجهية ظاهرة[4].

---

(١) ضنجان: جبل على بريد من مكة. وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ضنجان بناحية مكة على طريق المدينة.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة ٢: ٤٧٢. وتاريخ الخميس للديار بكري ٢: ٢٤٨، ومثله في نور الأبصار للشبلنجي: ٧٤. تاريخ الأمم والملوك ٥: ٩٥. شرح النهج ٣/ ١٠٨، الكامل في التاريخ ٣/ ١٦١، طبقات ابن سعد ٣/ ١٩١.

(٣) تاريخ الخميس ٢/ ٢٤١.

(٤) شرح النهج ١/ ٦١ ط مصر والعنجهية: الجفاء والكبر.

وقال: إنّ ابا بكر لما نزل به دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: إخبرني عن عمر؟ فقال: إن فيه غلظة[1].

وقال ايضاً: كان عمر شديد الغلظة[2] وعر الجانب، خشن الملمس[3] دائم العبوس. كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة، وإن اخلاقه نقص[4]. وقال ايضا: وكان عمر سريعاً الى المساءة، كثير الجبة[5] والشتم، والسب[6].

صحابة الرسول يشهدون على عمر بغلظته :

قال الديار بكري، قال طلحة والزبير [لأبي بكر لما حضرته الوفاة] ما كنت قائلاً لربك إذا وليته مع غلظته؟ وفي رواية: قال طلحة: اتولي علينا فظاً غليظاً، ما تقول لربك اذا لقيته[7].

وقال ابن قتيبة: وكان اهل الشام قد بلغهم مرض أبي‌بكر

---

(١) شرح النهج ١ / ٥٥.

(٢) الغلظة: الشدة والاستطالة والعداوة: والغليظ: الفظ، ذو القساوة.

(٣) الوعر: القاسي. والخشن: من الخشونة ضد اللين وهو يطلق على الصفات النفسية، والخارجية كاللمس.

(٤) شرح النهج ٢ / ١١٥.

(٥) جبهه جبهاً: صك جبهته وضربه عليها، فاجاه بالمكروه.

(٦) شرح النهج ٤: ٤٥٧.

(٧) تاريخ الخميس ١ / ٢٤١.

واستبطأوا الخبر، فقالوا: إنا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولي بعده عمر، فإن كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب، وانا لنرى خلعه[1].

وعن أسماء بنت عميس قالت: دخل رجل من المهاجرين على أبيبكر وهو يشتكي في مرضه فقال له: أستخلف علينا عمر، وقد عتا علينا، ولا سلطان له، فكيف لو ملكنا كان أعنى واعتى، فكيف تقول لله اذا لقيته؟ فقال ابوبكر أجلسوني، فلما أجلسوه قال: أبا لله تعرفوني، فاني اقول اذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك[2].

واخرج ابو جعفر الطبري، عن اسماء ابنة عميس أنها قالت: دخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقي الناس منه، وأنت معه فكيف إذا خلا بهم، وأنت لاق ربك، فسائلك عن رعيتك؟

فقال ابو بكر: ـ وكان مضطجعاً ـ أجلسون، فأجلسوه فقال لطلحة: أبالله تخوفني، اذا لقيت الله ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير اهلك[3].

وقال محمّد يوسف الكاندهلوي: وأخرج ابن أبي شيبة، عن زيد

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٠، طبعة مصر ١٩٦٩.

(٢) الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني ص ١٢٣ طبعة بيروت ١٩٠٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٥٤، تاريخ الخلفاء ص ٨٢.

بن الحارث: أنّ أبا بكر(رض) حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه الناس، فقال: تستخلف علينا فظّاً غليظاً، فلو قد ولّينا لكان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ فقال أبو بكر: أبربي تخوّفونني؟ أقول لـه: استخلفت عليهم خير أهلك[1].

خشونة عمر وغلظته حتى مع الحيوان:

أخرج المتقي الهندي عن أنس بن مالك أنّه قال: إنّ أعرابياً جاء بإبل لـه يبيعها، فجعل عمر ينخس بعيراً بعيراً يضربه برجله ليبعث البعير لينظر كيف قواده. فجعل الأعرابي يقول: خلّ إبلي لا أباً لك، فجعل عمر لا ينهاه قول الأعرابي أن يفعل ذلك ببعير بعير.

فقال الأعرابي لعمر: إني لأظنك رجل سوء، فلمّا فرغ منها اشتراها، فقال: سقها وخذ أثمانها فقال الأعرابي: حتّى أضع عنها أحلاسها وأقتابها فقال عمر: اشتريتها وهي عليها، فهي لي كما اشتريتها.

فقال الأعرابي: إنّك رجل سوء فبينها هما يتنازعان إذ أقبل عليّ، فقال عمر: ترضى بهذا الرجل بيني وبينك؟ فقال الأعرابي: نعم.

فقصّا على عليّ قصّتهما، فقال عليه السلام: يا أميرالمؤمنين، إن كنت اشترطت عليه أحلاسها وأقتابها فهي لك كما اشترطت، وإلاّ فالرجل يزين سلعته بأكثر من ثمنها. فوضع عنها أحلاسها وأقتابها، فساقها

---

(١) كنز العمال ٣: ١٤٦. تاريخ المدينة المنورة ٢: ٦٧٨.

الأعرابي فدفع إليه عمر الثمن[1].

أخرج ابن سعد عن سالم بن عبدالله، أن عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دبر البعير ويقول: إني لخائف أن أسأل عما بك[2].

قال ابن الأثير الجزري: وخطب ـ عمر ـ أم كلثوم ابنة أبي بكر إلى عائشة، فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه، إنّه خشن العيش، شديد على النساء.

وقال: خطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة، فكرهته وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً، ويخرج عابساً[3].

خشونته مع الرسول ﷺ :

أخرج البخاري عن أبي مليكة أنه قال: كاد الخيّران أن يهلكا: ابا بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل لا أحفظ إسمه، فقال ابو بكر لعمر: ما اردت إلا خلافي، قال: ما اردت

(١) كنز العمال ٢: ٢٢١ ط ١ حيدر آباد، الحديث ٤٧٨١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ ط ليدن، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٩ الفتوحات الإسلامية لزيني دحلان، طبعة مصر.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٥٤ و٥٥. تاريخ الطبري ٥: ١٧. عيون الأخبار لابن قتيبه ٤: ١٧.

إلا خلافك. فارتفعت أصواتهما فانزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم...﴾.

وقد جاء مثل هذا الخبر في الصحيح في تفسير سورة الحجرات[1] اخرج مسلم بن حجاج القشيري، عن نافع، عن ابن عمر أنه قال: لما توفي عبدالله بن أبي سلول جاء ابنه عبدالله الى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه.

فقام رسول الله ليصلي عليه، فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ! أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟!

فقال رسول الله ﷺ: إنما خيّرني الله... إلى آخر الخبر[2].

قال ابن ابي الحديد: لمّا توفي عبدالله بن أبي رأس المنافقين في حياة رسول الله ﷺ جاء ابنه وأهله فسألوا رسول الله أن يصلي عليه فقام بين يدي الصف يريد ذلك فجاء عمر فجذبه من خلفه وقال: ألم ينهك

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٩٠ تفسير سورة الحجرات طبعة بولاق مصر ١٣١٤ هـ. تاريخ المدينة المنورة لابن شبّة ٢/ ٥٢٣، طبعة جدّة والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير الجزري ٤/ ٣٢٢ انظر مادة المراء والتماري والمماراة.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢١٤١، كنز العمال ٢/ ٤١٨ ط بيروت وتاريخ المدينة لابن شبّة ٣/ ٨٦٥، وشرح النهج ١/ ٦٠ والرياض النضرة ١/ ٢٩٩ طبعة بيروت، وصحيح البخاري ١/ ١٦٣.

الله أن تصلي على المنافقين... فعجب الناس من جرأة عمر على رسول الله[1].

مشاكسة عمر للنبي والرد عليه:

لقد كثرت اعتراضات عمر بن الخطاب على النبي (صلى الله عليه وآله) حتى انه جابهه بحركات مشينة وبكلمات غير مؤدبة، حتى كان في كلامه من رفع الصوت والزجرة بوجه النبي (صلى الله عليه وآله) ما ذكرته كتب الحديث والتاريخ والسيرة.

قال السيد احمد زيني دحلان: و جعل [عمر] يرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكلام، حتى قال له ابو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ما يقول، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، حتى قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا عمر: إني رضيت وتأبى أنت[2].

(١) ينظر شرح النهج لابن ابي الحديد ٣ / ١٠٧ ومسند احمد بن حنبل ١ / ١٦، صحيح البخاري بحاشية السندي ٤ / ٢٥، صحيح مسلم ٤ / ٢١٤١، تاريخ المدينة لابن شبة ٣ / ٨٦٥، اسباب النزول للواحدي ص ١٤١، سنن ابن ماجه ١ / ٤٨٧، سنن النسائي ٤ / ٦٧، السنن الكبرى للبيهقي ٣ / ٤٠٢ ط حيدرآباد، كنز العمال للمتقي الهندي ٢ / ٤١٨، السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ١٩٧، الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ١ / ٢٩٢ ط القاهرة.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ١٩ طبعة مصر.

ما اعترضه على النبي في مرضه قوله: (النبي يهجر):

أخرج الامام احمد عن جابر: أن النبي (صلى الله عليه وآله) دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده. قال: فخالف عمر بن الخطاب حتى رفضها[1].

قال ابن الاثير: الهجر: بالضم هو الخنا والقبيح من القول، ولا تقولوا هجرا: أي فحشا. وهجر يهجر هجراً بالفتح اذا اختلط في كلامه، وإذا هذى... ومنه حديث مرض النبي (صلى الله عليه وآله) قالوا: ما شأنه أهجر... والقائل كان عمر[2].

واخرج الامام احمد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم نظرت الى دموعه على خدّيه تحدر كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أئتوني باللوح والدواة، أو الكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبدا فقالوا: رسول الله يهجر[3] قال الامام احمد في مسنده... فقالوا ما شأنه هجر. قال سفيان يعني: هذى، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء

(١) مسند احمد بن حنبل ٣ / ٣٤٦ طبعة مصر، طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والاثر، ٥ / ٢٤٥ ط مصر، وشرح النهج ٣ / ١١٤.

(٣) مسند احمد ١ / ٣٥٥.

فقال: إشتدّ برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه يوم الخميس، فقال: إئتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله)... الحديث[1].

وأخرج مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ! ثم جعل تسيل دموعه، حتى رأيت خديه نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إئتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهجر[2].

ومثله اخرجه ابن سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحذف من العبارة قول عمر وانما نسب قول الهجر للجميع: (فقالوا إنما يهجر رسول الله)[3].

واخرج البخاري عن ابن عباس أنه قال: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (صلى الله عليه وآله) هلمّ اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله، فاختلف اهل البيت فاختصموا.

---

(١) صحيح البخاري ٢ / ١٧٨ بحاشية السندي و ٦ / ٩ باب مرضى النبي و صحيح مسلم ١١ / ٨٩ بشرح النووي، ومسند احمد ١ / ٢٢٢.

(٢) صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩ تحقيق محمد فؤاد.

(٣) الطبقات ٢ / ٣٧.

منهم من يقول: ما قال عمر. فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوموا.

قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزيّه ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[1].

قال سبط ابن الجوزي: ولما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال قبل وفاته بيسير إئتوني بدواة وبياض لاكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدي فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر[2].

عمر ينكر وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ويهدد بالقتل من يقول بوفاته...

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ٧ كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عنّي، وباب كراهية الخلاف ٤ / ٢٧١.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٦٥ طبعة بيروت وفي روايات عديدة ان الذي تصدّى لمنع النبي (صلى الله عليه وآله) من الكتابة هو عمر بن الخطاب، وقد ذكروا له عدّة كلمات منها أنه قال: إنّ النبي يهجر.

ومنها: إنه ليهجر.

ومنها: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله.

ومنها قوله: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

ينظر: كتاب الملل والنحل ١ / ٢٢ ط مصر صحيح البخاري ١ / ٣٢ ـ ٣٣ باب كتاب العلم طبعة بولاق. مسند احمد بن حنبل ١ / ٣٢٤ ـ ٣٢٦ صحيح البخاري بحاشية السندي ٣ / ٩١ باب مرض النبي (صلى الله عليه وآله) منتخب كنز العمال ٣ / ١١٤ طبعة بيروت تذكرة الخواص: ص ٦٥ طبعة بيروت.

قال ابن ابي الحديد: وروى جميع اصحاب السيرة أن رسول الله ﷺ لما توفي كان ابوبكر بالسنح فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كلّه، وليرجعن فليقطعن ايدي رجال وأرجلهم ممن ارجف بموته لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي... الى آخر الخبر[1].

تعرّضه لزوجات النبي ﷺ :

اخرج البخاري عن ابن شهاب أنه قال: اخبرني عروة بن الزبير أن عائشة(رض) زوج النبي ﷺ قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ : إحجب نساءك، قالت: فلم يفعل.

وكان أزواج النبي ﷺ يخرجن ليلاً إلى ليل قبل المناصع.

خرجت سودة بنت زمعة ـ وكانت امرأة طويلة ـ فلما رآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس فقال: عرفتك يا سودة[2].

عمر بن الخطاب يتطاول على صفية عمة النبي ﷺ :

أخرج الهيثمي عن ابن عباس أنه قال: توفي ابن لصفية عمة

(١) شرح النهج ١ / ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٦١ و ١ / ٢٨ ـ ٤٠ باب خروج النساء ط مصر، ١٩٣٢، وتاريخ المدينة لابن شبة ٣ / ٨٦٠، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ٢١.

رسول الله ﷺ فبكت عليه، وصاحت فأتاها النبي ﷺ فقال لها: يا عمة ما يبكيك؟ قالت: توفي ابني قال ﷺ : يا عمة من توفي له ولد في الاسلام فصبر بنى الله له بيتاً في الجنة فسكتت. ثم خرجت من عند رسول الله ﷺ فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: يا صفية قد سمعت صراخك، اين قرابتك من رسول الله ﷺ لا تغني عنك من الله شيئاً فبكت. فسمعها النبي ﷺ ، وكان يكرمها ويحبها.

فقال: يعمة أتبكين وقد قلت لك ما قلت؟! قالت: ليس ذلك أبكاني يا رسول الله. استقبلني عمر بن الخطاب فقال: إن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تغني عنك من الله شيئاً.

قال: فغضب النبي ﷺ وقال: يا بلال هجّر بالصلاة فهجّر بلال بالصلاة فصعد المنبر النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال قوم يزعمون أن قرابتي لا تنفع. كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي فإنه موصولة في الدنيا والآخرة[1].

قساوته مع رحمه :

عن أنس بن مالك أنه قال: خرج عمر متقلّداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال: أين تعمد يا عمر؟ قال: اريد ان أقتل محمداً.

(١) مجمع الزوائد ٨ / ٢١٦ طبعة مصر.

قال الرجل: وكيف تأمن في بني هاشم، وبني زهرة، وقد قتلت محمداً؟! قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت، وتركت دينك الذي انت عليه. قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختنك، وأختك قد صبوا، وتركوا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما، وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب قال: فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ قال: وكانوا يقرؤن (طه) فقالا: ما عدا حديثاً تحدّثناه بيننا.

قال عمر: فلعلّكما قد صبوتما؟ قال: فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك قال: فوثب عمر على ختنه فوطأه وطئاً شديداً فجاءت اخته فاطمة بنت الخطاب فدفعته عن زوجها. فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها فقالت وهي غضبى:

يا عمر إن كان الحق في غير دينك: أشهد أن لا إله إلا الله، واشهد أن محمداً رسول الله فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فاقرأه، الى آخر الخبر[1]. وقريب منه ما اخرجه ابن الاثير[2] انظر الى شدة قساوة ابن الخطاب حيث وطأ ختنه وطأ شديداً

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ١٩١، صفة الصفوة لابن الجوزي ١ / ٢٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ ٢ / ٨٤ ـ ٨٧، نور الابصار ص ٥٤، الرياض النضرة ١ / ٢٧٢، أسد الغابة ٤ / ٥٤.

وادمى اخته التي هي من رحمه.

خشونته مع نسائه:

اخرج ابن ماجه القزويني، عن الاشعث بن قيس أنه قال: ضفت [عند] عمر ليلة، فلما كان في جوف اليل قام الى امرأته يضربها فحجزت بينهما، فلما آوى الى فراشه قال لي: يا اشعث: احفظ عني شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ: لا يسأل الرجل فيم يضرب امرأته و...[1].

مع ولده:

قال السيوطي: واخرج عبدالرزاق في مصنّفه عن عكرمة بن خالد أنه قال: دخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه، وقد ترجّل، ولبس ثياباً حساناً، فضربه عمر بالدرّة حتى ابكاه، فقالت له حفصته: لم ضربته؟ قال: رأيته قد اعجبته نفسه، فأحببت أن اصغرها إليه[2].

حتى النساء يعرفن خشونة عمر:

قال ابن الاثير: خطب (عمر) ام كلثوم ابنة أبي بكر الى عائشة

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٦٩٣، مسند احمد بن حنبل ١ / ٢٠.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٤٢.

فقالت ام كلثوم: لا حاجة لي فيه، إنه خشن العيش، شديد على النساء[١].

وقال ابن الاثير بسنده عن الحسن: إن عمر بن الخطاب خطب الىقوم من قريش بالمدينة فردوه، وخطب اليهم المغيرة بن شعبة فزوّجوه[٢]. ومثله في العقد الفريد[٣].

وقال ابن الاثير: خطب [عمر] أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً، ويخرج عابساً[٤]، ومثله عن ابن قتيبة[٥].

اخرج البخاري، عن محمد بن سعد، عن أبيه، أنه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه. عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب. فاذن له النبي ﷺ فدخل والنبي ﷺ يضحك. فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. فقال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب. فقال أنت احق أن يهبن يا رسول الله، ثم أقبل عليهن فقال: يا عدوات انفسهن،

(١) الكامل في التاريخ ٣ / ٥٤.
(٢) أسد الغابة ٤ / ٦٥ طبعة مصر.
(٣) العقد الفريد ٢ / ٢٠٩ طبعة مصر، لجنة من المحققين.
(٤) الكامل في التاريخ ٣ / ٥٥ وتاريخ الطبري ٥ / ١٧.
(٥) عيون الاخبار للدينوري ٤ / ١٧ طبعة مصر.

أتهبنني، ولم تهبن رسول الله ﷺ؟

فقلن: إنك أفظ، وأغلظ من رسول الله ﷺ[١].

اخرج المتقي الهندي عن عمر بن الخطاب أنه قال: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النسوة حجاب، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوني بسبع قرب، وأتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقالت النسوة: إئتوا رسول الله ﷺ بحاجته. فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه، إذا مرض عصرتن اعينكن، فاذا صحّ أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ: هنّ خير منكم[٢].

الدرة آلة التأديب:

تحدّثنا كتب السيرة أن عمر بن الخطّاب اتخذ الدرّة في تأديب الرعيّة، وقد اغلظ وقسى في تأديبه مما هو خارج عن اصول الشريعة.

قال ابن شبّة في تاريخه: حدّثنا موسى بن اسماعيل قال: حدّثنا حماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: كان عمر إذا بعثني الى أحد من ولده قال لي: لا تخبره لم بعثتك إليه فلعل الشيطان يعلمه كذبةً!

فجاءت ام ولدلعبد الرحمن فقالت: إن أبا عيسى لا ينفق علي ولا يكسوني قال: ويحك من أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبدالرحمن فقال:

(١) كنز العمال ٢ / ٣٠٨ طبعة بيروت
(٢) منتخب كنز العمال ٣ / ١١٤.

وهل لعيسى من أب؟ قال: فارسلني إليه وقال: قل له: أجب، ولا تخبره لأي شيء دعوته قال فأتيته وعنده ديك ودجاجة هنديان فقلت له: أجب أباك اميرالمؤمنين، قال: وما يريد منّي؟ قلت: لا ادري.

قال: إني أعطيك هذا الديك، والدجاجة على أن تخبرني ما يريد مني فاشترط أن لا يخبر عمر، واخبرته، واعطاني الديك، والدجاجة، فلما جئت عمر، قال لي: اخبرته؟ فوالله ما استطعت أن اقول لا فقلت: نعم قال: أرشاك شيئاً؟ قلت: نعم قال: مارشاك ؟ قلت: ديكا ودجاجة فقبض بيده اليسرى على يدي فجعل يضربني بالدرّة، وجعلت أندو، وجعل يضربني وأنا أندو. فقال: انك لجدير(١).

خشونة عمر وغلظته مع اصحاب النبي ﷺ:

ذكر الطبري في تاريخه احداث السقيفه، منها عن عبدالرحمن قال: فقال ناس من اصحاب سعد إتقوا سعداً لاتطؤه فقال عمر: اقتلوه قتله الله. ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن اطأك حتى تندر عضوك. فاخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة... الخبر(٢).

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبه ٢ / ٧٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠، والنهاية لابن الاثير ٤ / ١٣، السقيفة والخلافة لعبد الفتاح عبدالمقصود ص ١١ طبعة مصر

مع ابي بكر بن ابي قحافة:

أخرج ابن أبي الحديد عن الهيثم بن عدي، عن عبدالله بن عباس الهمداني، عن سعيد بن جبير أنه قال: ذكر أبوبكر وعمر عند عبدالله بن عمر، فقال رجل: كانا والله شمس هذه الامّة ونورها. فقال ابن عمر: وما يدريك؟ فقال الرجل: أو ليس قد ائتلفنا؟ قال ابن عمر: بل اختلفا لو كنتم تعلمون أشهد أني كنت عند أبي يوماً، وقد أمرني أن أحبس الناس عنه، فاستأذنه عليه عبدالرحمن بن أبي بكر فقال عمر: دويبة سوء، وهو خير من أبيه، فأوحشني ذلك منه فقلت: يا أبت: عبدالرحمن خير من أبيه؟ فقال: ومن ليس بخير من أبيه، لا ام لك...(١).

السؤال والتعلم ممنوع والسياط هي الجواب:

عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي الى عمر بن الخطاب فقال: يا اميرالمؤمنين: أخبرني عن الذاريات ذرواً، فقال هي الدياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته.

قال: فاخبرني عن الحاملات وقراً قال: هي السحاب، ولو لا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته قال: فاخبرني عن الجاريات يسراً قال: هي السفن، ولو لا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته.

قال: فاخبرني عن المقسمات امرا قال: هي الملائكة، ولو لا أني

---

(١) شرح النهج ١ / ١٢٤.

سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ثم امر به فضرب مائة وجعل في بيتٍ فلما برأ دعاه فضربه مائة اخرى، وحمله على قتب وكتب الى ابي موسى الاشعري امنع الناس من مجالسته، فلم يزالوا كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه شيئاً فكتب في ذلك الى عمر... فامر ان يخلّي سبيله[1].

اخرج المتقي الهندي عن مولى ابن عمر أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن اشياء من القرآن في أجناد المسلمين، حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب، فقرأه، فقال أين الرجل؟

قال: في الرحل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة، فأتاه، فقال له عمر: عم تسأل؟ فحدّثه، فأرسل عمر إليّ يطلب الجريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، ثم دعا به ليعود له، فقال صبيغ: يا امير المؤمنين: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً... الخ[2].

عمر يضرب ابا هريرة ويتطاول على الرسول ﷺ فينهاه:

أخرج مسلم عن أبي هريرة في خبر طويل... قال ابو هريرة

(١) كنز العمال ٢ / ٣٣١ ط بيروت حديث ٤١٦١ و ٤١٦٩ و ٤١٧٠.
(٢) المصدر السابق.

دخلت على رسول الله ﷺ، [فناداه] فقلت نعم يا رسول الله قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين اظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا، فزعنا، فكنت اول من فزع فأتيت هذا الحائط، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي.

قال يا أبا هريرة - واعطاني نعليه - اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشّره بالجنة. فكان اول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟

فقلت: هاتان النعلان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديي خررت لإستي فقال: ارجع يا ابا هريرة. فرجعت الى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً، وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال رسول الله ﷺ: مالك يا أبا هريرة؟

قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب [عمر] بين ثديي ضربة خررت لإستي قال: ارجع، قال رسول الله ﷺ: يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله، بأبي أنت وامي أبعثت ابا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّره بالجنة؟ قال: نعم قال عمر: فلا تفعل... الى آخر الخبر[1].

(١) صحيح مسلم ١ / ٤٤ باب من لقي الله تعالى بالايمان وهو غير شاك فيه وشرح النهج ٣ / ١٠٣، والرياض النضرة ١ / ٣٣٤ طبعة بيروت

اقول: انظر الى جرأة ابن الخطاب وتطاوله على النبي ﷺ انه من جانب قد ضرب ابا هريرة، ألانه حمله نعلي رسول الله؟ أم ماذا؟ ومن جانب آخر أنه ينهى رسول الله ﷺ، وفي نهيه ذاك تطاول على ساحة النبي وقدسيته.

عقوبة بلا ذنب:

من ذلك تغريب نصر بن الحجاج أبي ذويب من غير ذنب، غرّبه عن المدينة زماناً، روى ابن أبي الحديد عن محمد بن سعيد قال: بينا عمر يطوف في بعض سكك المدينة إذ سمع امرأة تهتف من خدرها:

هل من سبيل الى خمر أشربها
ام هل سبيل الى نصر بن حجّاج؟
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيّا كريم غير ملجاج
نميه اعراق صدق حين تنسبه
اخي قداح عن المكروب فرّاج
سامي النواظر من بهر له قدم
تضيء صورته في الحالك الدّاجي

فقال [عمر]: ألا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن!

عليّ بنصر بن حجاج، فأتى به واذا هو احسن الناس وجهاً وعيناً وشعراً، فأمر بشعره فجزّ فخرجت لهو جنتان كأنها قمر، فأمره أن يعتمّ، ففتن النساء بعينيه، فقال عمر: لا والله لا تساكنني بارض أنا بها.

فقال: ولم يا اميرالمؤمنين؟ قال: هو ما اقول لك فسيّره الى البصرة، وخافت المرأة التي تسمّع عمر منها ما سمع ان يبدر اليها من شيء فدست اليه ابياتاً:

قل للامير الذي تخشى بوادره
مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
اني بليت أبا حفص بغيرهما
شرب الحليب وطرف فاتر ساج
لا تجعل الظنّ حقّاً أو تبيّنه
ان السبيل سبيل الخائف الرّاجي
مامنية قلتها عرضاً بضائرة
والناس من هالك قدما ومن ناج
ان الهوى رعية التقوى تقيّده
حتى اقرّ بالجام واسراج

وكان لنصر ام فاتى عليه حين، واشتدّ عليها غيبة ابنها،

فتعرّضت لعمر، بين الاذان والاقامة، فقعدت له على الطريق، فلمّا خرج يريده الصلاة هتفت به، وقالت: يا اميرالمؤمنين لاجا ثينّك غدا بين يدي الله عزجل ولا خاصمنّك اليه، أجلست عاصماً وعبدالله الى جانبيك وبيني وبين ابني الفيافي والقفار، والمفاوز والاميال!

قال: من هذه؟ قيل: امّ نصر بن الحجاج...

وقد روي عن الاصمعي ان نصر بن الحجاج كتب الى عمر كتاباً هذه صورته: لعبد الله عمر اميرالمؤمنين من نصر بن حجّاج، سلام عليك امّا بعد يا اميرالمؤمنين:

لعمري لئن سيّرتني أو حرمتني ... لما نلت من عرضي عليك حرام

أئن غنّت الدلفاء يوماً بمنية ... وبعض اماني النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده ... بقاء فما لي في الندى كلام

واصبحت منفيّا على غير ريبة ... وقد كان لي بالمكّتين مقام

سيمنعني عما تظنّ تكرمي ... وآباء صدق صالحون كرام

ويمنعها من ما تمنّت صلاتها ... وحال لها فيدينها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجع ... فقد جبّ منّي كاهل وسنام

وفي مثل ذلك جرى لأبي ذؤيب؛ روى عبدالله بن يزيد أن عمر خرج ليلة يعسّ فاذا نسوة يتحدّثن، وإذا هن يقلن اي فتيان المدينة أصبح؟ فقالت امرأة منهن: ابو ذؤيب والله فلمّا نظر اليه [عمر] قال:

أئنت والله ذئبهن ـ ويكرّرها ويردّدها ـ لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض ابداً فقال: يا اميرالمؤمنين ان كنت لابد مسيري فسيّرني حيث سيّرت ابن عمي نصر بن الحجاج، فامر بتسييره الى البصرة، فاشخص اليها[1].

أقول: ان الحادثتين قد روتها جل ارباب السير. ولا يخفى عليك ان هذا التصرّف من قبل الخليفة هو بدعة، وتحميل البريء وزر غيره وهذا مما نهى عنه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ألاّ تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾ النجم: ٣٨.

وان اقدام عمر على تغريب نصر بن الحجاج وأبي ذؤيب مخالف لضرورة الدين؛، ثم أيّ ذنب لنصر بن الحجاج الذي منحه الله جمالاً وكرماً ونسباً رفيعاً، وقد عرفته نساء المدينة بعفته ونزاهته حتى هوينه وعشقنه، أهذا يستحق التغريب والنفي من قبل الخليفة عمر؟!

ولا ريب ان التغريب تعذيب عنيف وعقوبة عظيمة ولم يجعل الله تعالى في دين من الاديان حسن الوجه ولا قبحه منشأ العذاب، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم ليت شعري ما الفائدة في تسيير نصر الى البصرة؟ فهل كانت نساء البصرة أعف و اتقى من نساء المدينة؟

(١) شرح النهج ١٢ / ٢٧.

الرعية وبغضها لابن الخطاب:

قال ابن شبة: قال عبدالله بن جعفر بن برقان قال: قال رجل لعمر ادنو منك فإن لي اليك حاجة؟ قال: لا، قال: إذن اذهب فيغنني الله عنك. فولّى ذاهباً، فاتبعه عمر فاخذ بثوبه، فقال: حاجتك؟

فقال الرجل: أبغضك الناس، كرهك الناس، قالها ثلاثاً، قال عمر له: مم، ويحك؟ قال: لسانك، وعصاك[1].

قال ابن ابي الحديد: قال ابو جعفر: وروي عن عامر الشعبي أنه قال: ما قتل عمر بن الخطاب حتى ملّته قريش، واستطالت خلافته[2].

اقول: هذا نزر قليل في شأن غلظة الخليفة عمر بن الخطاب وشدّته وقساوته في سيرته وسلوكه وأخلاقه ومعاشرته ومن طلب المزيد فعليه بما سطّرته الكتب التاريخية والموسوعات الحديثية وكتب التفسير.

قوله عليه السلام: «ويكثر العثار فيها و...».

كشف الإمام عليه السلام القناع عن سير خلافتي أبي بكر وعمر وما صاحب خلافتهما من عثرات وأخطاء وفتيا لا تنسجم مع أصول الشريعة، فقد منيت الأمّة بآراء ومواقف لا يمكن السكوت عليها.

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٠ ط الحلبي بمصر.

(٢) شرح النهج ١ / ٥٨.

من فتاوى الخليفة عمر المخالفة لنص القرآن:

روى علماء الجمهور قضايا كثيرة صدرت عن الخليفة عمر بن الخطاب قد افتى فيها بخلاف النص، منها، قال ابن ابي الحديد: قال عمر: لا يبلغني ان امرأة تجاوز صداقها نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها. فقالت له امرأة: ما جعل الله لك ذلك إنه تعالى يقول: ﴿وإن... آتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أ تأخذونه بهتاناً وإثماً﴾ النساء: ٢٠.

فقال [عمر]: كل الناس افقه من عمر، حتّى ربات الحجال ألا تعجبون من امام أخطأ وامرأة أصابت، فأضلت إمامكم ففضلته[1]، ومثله في تفسير الزمخشري وابن كثير والسيوطي فراجع.

اخرج الحافظ ابن كثير الدمشقي، عن عبدالرحمن بن أبزي عن ابيه ان رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنبت فلم أجد ماءً، فقال عمر: لاتصلي قال عمّار: أما تذكر يا اميرالمؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً، فأما انت فلم تصلّ، وأما أنا فتمحكت في التراب فصلّيت. فلما أتينا النبي صلى الله عليه وآله ذكرت ذلك له فقال: إنما يكفيك، وضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده الارض، ثم نفخ فيها، ومسح بها وجهه وكفّيه[2].

---

(١) شرح النهج ١/ ٦١، تفسير الكشاف للزمخشري١ / ٥١٤، تفسير ابن كثير الدمشقي١ / ٤٦٦ طبعة بيروت، الدر المنثور للسيوطي٢ / ١٣٣ طبعة مصر.

(٢) تفسير ابن كثير٤/ ٥٠٥، السنن الكبرى للبيهقي١ / ٢٠٩، طبعة الهند ١٣٥٢هـ.

ومثله أخرجه النسائي والبخاري ومسلم من اوجه عن الاعمش واحمد في مسنده[1].

قال الفخر الرازي: روى ابو سلمة بن عبدالرحمن أنه قال: صلى بنا عمر بن الخطاب المغرب فترك القراءة فلما انقضت الصلاة قيل له: تركت القراءة، قال: كيف كان الركوع والسجود؟ قال: حسناً، قال: لا بأس[2].

اخرج أبو نصر عبدالوهاب السبكي عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).

واخرج السبكي عن أبي هريرة: أنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالمدينة أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب[3].

اخرج المحب الطبري عن أبي ظبيان أنه قال: شهدت عمر بن الخطاب أتى بامرأة [مجنونة بني فلان] قد زنت فأمر عمر برجمها فانتزعها علي من ايديهم فردّهم فرجعوا إلى عمر فقالوا: ردّنا علي، قال: ما فعل هذا علي إلا بشيء. فارسل اليه فجاءه، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: (رفع القلم عن ثلاثة): عن

---

(١) سننا لنسائي ١ / ١٦٩ باب نوع آخر من التيمم، صحيح البخاري ١ / ٧٢، مسند احمد ٤ / ٣٢٠، وسنن ابي داود ١ / ٨١ كتاب الطهارة باب التيمّم.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١/ ٢٢٢.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣ / ٣٥٥.

النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل قال: بلى فقال: هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهواها فقال عمر: لا أدري قال علي: أنا ادري. فترك رجمها[1].

اخرج ابن عبدالبر عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها ابوحسن، وقال في المجنونة التي أمر عمر برجمها، وفي التي وضعت لستة أشهر فاراد عمر رجمها فقال له علي:

إن الله تعالى يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ وقال له: إن الله رفع القلم عن المجنون.... الحديث فكان عمر يقول: لو لا علي لهلك عمر[2].

واخرج المتقي الهندي، عن ذهل بن كعب أنه قال: اراد عمر أن يرجم المرأة التي فجرت وهي حامل فقال له معاذ: إذاً تظلم أرأيت الذي في بطنها ما ذنبه؟ علىما تقتل نفسين بنفس واحدة. فتركها حتى وضعت حملها فرجمها[3].

اقول: وهناك العشرات من الفتاوى التي افتى بها الخليفة وهي مخالفة للقرآن والسنّة، فتدبّر.

---

(١) ذخائر العقبى ص ٨١ طبعة مصر، مكتبة القدسي

(٢) الاستيعاب ٣ / ١١٠٣.

(٣) كنز العمال ٥ / ٤٣١.

ما أدخله من بدعة ليس من الدين:

روى اليعقوبي في تاريخه في سنة الثالثة عشر قال: سنّ عمر بن الخطاب قيام شهر رمضان، وكتب بذلك الى البلدان، وأمر أبي بن كعب، وتميماً الدارمي أن يصليا بالناس. فقيل له في ذلك: إن رسول الله لم يفعله فقال: إن تكن بدعة فما أحسنها من بدعة[1].

ومثله اخرجه ابن شبة عن أبي سلمة، والبخاري عن عروة بن الزبير[2].

ومن فتاوى الخليفة عمر المخالفة لنص القرآن: انه كان يتلوّن في الاحكام حتّى روي انه قضى في الجدّ سبعين قضية[3].

وهذا يدلّ على قلّة علمه، وأنه كان يحكم بمجرد الظن والتخمين والحدس من غير ثبت ودليل... وهكذا افتى في الكلالة فكان فيه تناقض فاحش... وسئل عن معنى الاية (فاكهة وأبى) فلم يدر ما هو.

تجسسه على بيوت الناس:

كان عمر بن الخطاب في زمن خلافته يعسّ بالمدينة فسمع رجلاً

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٠٠.

(٢) تاريخ المدينة ٢ / ٧١٣، صحيح البخاري ١ / ٣٤٢، الرياض النضرة ١ / ٣٠٩، شرح النهج للمعتزلي ٣ / ١٧٩.

(٣) شرح النهج ١١٢ / ٢٤٦.

في بيت يتغنّى، فتسوّر عليه فوجد عنده امرأة ودنّاً من خمر، فقال يا عدو الله: ظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟

فقال الرجل: وأنت يا امير المؤمنين فلا تعجل، فإني إن كنت عصيت الله في واحدة، فقد عصيت الله ثلاثاً، قال الله تعالى: ﴿ولا تجسّسوا﴾، وقد تجسست، وقال تعالى: ﴿وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾.

وقد تسوّرت علي.

وقال تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها﴾. وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام[1].

وفي مثل هذا التجسّس عدّة أخبار نقلها ابن الاثير والكاندهلوي وابن عبد ربه وغيرهم فراجع[2].

هذه بعض فتاوى الخليفة عمر بن الخطاب، ولو تصفّحت كتب الجمهور الفقهية والحديثية والتاريخية وكتب السيرة لوجدت مئات الفتاوى والاحكام التي صدرت من الخليفة على هذه الشاكلة، ولولا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لاوقع ابن الخطاب الناس في هرج ومرج من امور دينهم.

---

(١) الفتوحات الاسلامية ٢ / ٤٤٧، شرح ابن ابي الحديد ١ / ٦١.

(٢) الكامل في التاريخ ٣ / ٥٧ ط بيروت، حياة الصحابة ٢ / ٤٠٦، الكاندهلوي الرياض النضرة ١ / ٣٧٥، ط بيروت، العقد الفريد ١ / ٣٤١ ط مصر، كنز العمال ٢ / ١٤١.

بل هناك من المسائل العويصة ما لا سبيل إلى حلّها إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام ، من ذلك: قدوم الجاثليق مع مائة من النصارى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها، فجاؤوا علياً فأجابهم.

ومنها: ما أخبر خالد بن الوليد أبا بكر أنّه قد وجد رجلاً في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال عليّ: إنّ هذا ذنب لم يعص الله به أمّة من الأمم إلا امّة واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار.

ومنها: قضية شارب الخمر الذي ادّعى أنّه أسلم ومنزله كان بين قوم يستحلّونها ولم يعلم أنّها حرام فيجتنبها، فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة وأبو الحسن لها. فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فأشار إلى أبي بكر أن ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار، فإن قرأت عليه آية التحريم فليشهد عليه وإلاّ فلا شيء عليه.

ومنها: أراد قوم على عهد أبي بكر أن يبنوا مسجداً بساحل عدن، فكان كلّما فرغوا من بنائه سقط، فعادوا إلى أبي بكر فسألوه فلم يحر جواباً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : احتفروا في ميمنته وميسرته في القبلة فإنّه يظهر لكم قبران مكتوب عليهما أنا (رضوى) وأختي (حبا) متنا لانشرك بالله العزيز الجبار، وهما مجردتان فاغسلوهما وكفّنوهما.

ومنها: ما سأل رسول ملك الروم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة والدم، وشهد بما لم ير، يحبّ الفتنة ويبغض الحق، فلم يجبه أبو بكر، فقال عمر لرسول ملك الروم ازددت كفراً إلى كفرك، فاخبر بذلك عليّ عليه السلام فقال: هذا رجل من أولياء الله....

ومنها: ما سئل عنه أبو بكر عن الكلالة. فقال: أقول فيها برأي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما أغناه عن الرأي في هذا المكان؟! أما علم أنّ الكلالة هم الأخوة والأخوات من قبل الأب والأم، ومن قبل الأب على الانفراد، ومن قبل الأم على انفرادها، فإنّ الله عز وجل يقول ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم...﴾[1].

ومنها: خبر اليهودي الذي جاء إلى أبي بكر يسأله أين الله؟ فقال: هو في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان. فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، اعزب عنّي وإلا قتلتك. فولّى الحبر اليهودي متعجّباً يستهزيء بالإسلام، فاستقبله عليّ عليه السلام فقال: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به، وإنّا نقول: إنّ الله عز وجل أيّن الأين فلا أين له، جلّ أن يحويه مكان، فهو في كلّ مكان، بغير مماسة ولا مجاورة...

---

(١) النساء: ١٧٥.

ومنها: أنّ رجلاً على عهد أبي بكر جاء يشكوه في رجل زعم أنّه احتلم بأمّه، فلم يعرف حكم هذه المسألة ودهش لها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام اذهب به فأقمه بالشمس وحد ظلّه، فإنّ الحلم مثل الظل، ولكنّا سنضربه حتّى لا يعود يؤذي المسلمين.

ومنها: ما جرى بعد موت عقبة بن أبي عقبة إذ حضر جنازته جمع من الصحابة فيهم الإمام عليّ عليه السلام وعمر وآخرون، فقال عليّ لرجل كان حاضراً: إنّ عقبة لمّا توفّي حرمت امرأتك فاحذر أن تقربها.

فقال عمر: كلّ قضاياك يا أبا الحسن عجيبة، وهذه من أعجبها! بموت إنسان تحرم على آخر امرأته؟!

فقال: نعم، إن هذا عبد كان لعقبة، تزوّج امرأة حرّة، وهي اليوم ترث بعض ميراث عقبة، فقد صار بعض زوجها رقّاً لها، وبضع المرأة حرام على عبدها حتّى تعتقه ويتزوّجها.

فقال عمر: لمثل هذا نسألك عمّا اختلفنا فيه.

ومنها: أنّ رجلين من قريش أودعا امرأة مائة دينار وقالا لها: لاتدفعيها إلى أحدنا حتّى يحضر الآخر، وغابا مدة، ثمّ جاء أحدهما فقال: إنّ صاحبي قد هلك وأريد المال، فدفعته إليه، ثمّ جاء الآخر فطلبه، فقالت: أخذه صاحبك. فقال: أما كان الشرط كذا، فارتفعا إلى عمر، فقال للرجل: ألك بينة؟

قال: هي فقال عمر: ما أراك إلاّ ضامنة فقالت: أنشدك الله،

ارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعها إليه، فقصّت المرأة القصة عليه، فقال للرجل: ألست القائل لا تسلّميها إلى أحدنا دون صاحبه؟ فقال: بلى.

فقال: مالك عندنا، أحضر صاحبك وخذ المال، فانقطع الرجل، وكان محتالاً، فبلغ ذلك عمر، فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب.

وفي هذا يقول الصاحب بن عبّاد:

هل مثل قولك إذ قالوا مجاهرة   لو لا عليّ هلكنا في فتاوينا

والشواهد على فتاوى القوم كثيرة جداً تنبؤك على قلة علمهم وبعدهم عن الفهم، في الوقت نفسه تكشف مراجعتهم للإمام عليّ عليه السلام مدى غزارة علم الإمام وكونه أقضاهم وأعلمهم.

في هذا المعنى أذكّر القارئ الكريم بأنّ المناسبات التي دعت الخليفة عمر ابن الخطاب أن يعترف بمكانة أمير المؤمنين وعلمه وإيمانه وفقاهته هي عديدة، لذا كانت تصريحاته ـ أيضاً ـ عديدة، فهي وإن اختلفت في اللفظ إلاّ أنّها تشابهت في المعنى، وإليك عزيزي القارئ جملة من تصريحات الخليفة الثاني بحق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

منها قوله:

١ ـ أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. (مستدرك الحاكم النيسابوري١: ٤٥٧، كنز العمال٣: ٣٥، ذخائر

العقبى: ٧٢).

٢ـ لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن. (الجامع اللطيف، ط مصر).

٣ـ لا أحياني الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبي طالب حياً. (الجامع اللطيف).

٤ـ لا أبقاني الله بأرضٍ لست بها يا أبا الحسن. (شرح نهج البلاغة ٣: ١٢٢).

٥ـ كاد يهلك ابن الخطاب لولا عليّ بن أبي طالب. (كفاية الطالب: ٩٦).

٦ـ أعوذ بالله من معظلة لا عليّ لها، أو ليس لها أبو الحسن. (فرائد السمطين ١، الباب ٦٤ و ٦٥).

٧ـ اللّهم لا تبقني لمعظلة ليس فيها أبو الحسن، أو ليس لها ابن أبي طالب (ينابيع المودة ١: ٧٥، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٨٧).

٨ ـ لا أبقاني الله بعدك يا عليّ. (كما في ذخائر العقبى: ٨٢، فرائد السمطين١، الباب ٦٥. ومناقب الخوارزمي: ٦١، الرياض النضرة ٢: ١٩٧).

٩ـ أعوذ بالله أن أعيش في يومٍ لست فيه يا أبا الحسن. (ذخائر العقبى لمحب الدين: ٨٢).

١٠ـ عجزت النساء أن تلدن مثل عليّ بن أبي طالب. (فرائد

السمطين للحمويني، ينابيع المودّة: ٧٥).

١١ـ يا بن أبي طالب، فمازلت كاشف كلّ شبهة وموضع كلّ حكم. (كنز العمال٣: ١٧٩).

١٢ـ بأبي أنت وأمي، بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور. (مناقب الخوارزمي: ٥٨ من الفصل١٤).

١٣ـ في مسألة الرجل أنه يحب الفتنة ويكره الحق بيّن الإمام عليه السلام ما قصده الرجل، فقال عمر بن الخطّاب لعلي: الله يعلم حيث يجعل رسالته. (الطرق الحكمية لابن القيم الجوزية: ٤٥).

١٤ـ وفي حادثة أنّ علياً لطم وجه رجل كان ينظر إلى نساء المؤمنين في الطواف، فاستعدي الرجل عند عمر، فقال له: ضربك بحق، أصابته عين من عيون الله، أراد خاصة من خواص الله ووليأ من أوليائه. (نهاية ابن الاثير٣: ١٦٣).

١٥ـ لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب، أو بعدك يا عليّ. (ذخائر العقبى: ٨٢).

١٦ـ لا عشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن. (أمالي الطوسي: ٣٠٣، مناقب ابن شهر آشوب١: ٤٩٣).

١٧ـ اللّهم لا تنزلن بي شدة الا وأبو الحسن إلى جنبي. (كنز العمال ٣: ٥٣، ذخائر العقبى: ٨٢).

وأصرح عبارة قالها عمر بن الخطّاب قوله:

١٨ـ لو لا عليّ لهلك عمر.

عزيزي القارئ، كان بودّي أن أضع بين يديك مصادر علماء أخواننا السنّة التي روت النص المذكور آنفاً، لكن وجدتها كثيرة جداً قد لا يسع الباحث أن يستقرأها جميعاً، لـذا سوف اكتفي ببعضها تاركاً التفصيل إلى مناسبة أخرى.

أهم مصادر علماء الجمهور التي صرحت بهلاك عمر لولا علي.

مصادر (لولا علي لهلك عمر) من كتب الجمهور:

أوّلاً: تفسير الفخر الرازي٧: ٤٨٤.

ثانياً: تفسير الدر المنثور للسيوطي١: ٢٨٨.

ثالثاً: تفسير النيسابوري٣: سورة الأحقاف.

رابعاً: تذكرة سبط بن الجوزي: ٨٧.

خامساً: مناقب الخوارزمي: ٤٧ و٥٧ و٦٠.

سادساً: أسد الغابة لابن الأثير ٤: ٢٢.

سابعاً: الصواعق المحرقة لابن حجر: ٧٨.

ثامناً: الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٧٤.

تاسعاً: تهذيب التهذيب لابن حجر٧: ٣٣٧ و٢: ٥٠٩، ط حيدر آباد.

عاشراً: السنن الكبرى للبيهقي٧: ٤٤٢.

الحادي عشر: كنز العمال للمتقي الهندي٣: ٩٦ و ٢٢٨.

الثاني عشر: الإصابة لابن حجر٢: ٥٠٩، ط مصر.

الثالث عشر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري: ٢٠١ و٢٠٢.

الرابع عشر: هداية المرتاب للحاج أحمد أفندي: ١٤٦ـ١٥٢.

الخامس عشر: تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي: ٦٦.

السادس عشر: نور الأبصار للسيد مؤمن الشبلنجي: ٧٣.

السابع عشر: ذخيرة المآل لشهاب الدين أحمد بن عبد القادر العجيلي.

الثامن عشر: إسعاف الراغبين لمحمّد بن عليّ الصبّان: ١٥٢.

التاسع عشر: جواهر العقدين لنور الدين عليّ بن عبد الله السمهودي المتوفّى (٩١١ هـ).

العشرون: شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي، المتوفّى (٦٥٥هـ)، ١: ٦.

الحادي والعشرون: شرح التجريد للعلامة القوشجي: ٤٠٧.

الثاني والعشرون: حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم.

الثالث والعشرون: شرح الفتح المبين لمحمّد بن عليّ الترمذي.

الرابع والعشرون: تفسير كشف البيان للإمام الثعالبي.

الخامس والعشرون: إبطال الباطل للقاضي فضل الله بن روزبهان.

السادس والعشرون: ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي القندوزي: ٧٠ و٧٥.

السابع والعشرون: كفاية الطالب للكنجي: ١٠٥.

الثامن والعشرون: مختصر جامع العلم: ١٠٥.

التاسع والعشرون: ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري: ٨٢.

الثلاثون: الرياض النضرة لمحب الدين الطبري: ٢: ١٩٤.

الحادي والثلاثون: مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ١٣ و٢٩ من الفصل السادس.

الثاني والثلاثون: أربعين الرازي: ٤٦٦.

الثالث والثلاثون: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، الفصل١،ص ١٨.

الرابع والثلاثون: الطرق الحكمية لابن القيم الجوزية: ٤٧ و٥٣.

الخامس والثلاثون: الفاتحة السابعة من شرح الميبدي.

أقول: وهناك عبارات مدح وشكر وثناء صدرت من عمر بن الخطاب لعلي لمّا فرّج الله عنه في مواقف عديدة، وكان الفرج والخلاص على يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من ذلك:

أوّلاً: قوله: بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور. (نزهة المجالس٢: ٨٨ و١٧١).

ثانياً: قوله: منكم أخذنا العلم وإليكم يعود. (البحار ٩:٤٩٢).

ثالثاً: قوله: كاد أن يهلك ابن الخطاب لولا عليّ بن أبي طالب.

رابعاً: قوله: الحمد لله، أنتم أهل بيت الرحمة يا أبا الحسن. (البحار ٩: ٤٧٩ و٥٠٦).

خامساً: قوله: أنت والله نصحتني من بينهم. (البحار ٩:٥٦٠).

سادساً: قوله: [يا عليّ] يدٌ لك مع الأيادي لم أجزك بها. (البحار ٩: ٤٧٨).

سابعاً: قوله: فرّج الله عنك، لقد كدت أن أهلك. (مناقب ابن شهر آشوب١ : ٤٩٧).

ثامناً: قوله: فرّج الله عنك، قد تصدّع قلبي. (البحار: ٦:٤٩٢).

تاسعاً: قوله: ـ إذا لم يكن الإمام عليّ موجوداً ـ أين أبو الحسن مفرّج الكرب. (البحار ٩: ٤٩٢).

عاشراً: قوله: شعرة من آل أبي طالب أفقه من عديّ. (البحار٩: ٤٧٨).

الحادي عشر: قوله: يا عليّ، كلّ قضاياك عجيبة وهذه أعجبها. (البحار ٩: ٤٧٧).

الثاني عشر: قوله: ما زلت كاشف كلّ كرب، وموضح كلّ حكم. (كنز العمال).

الثالث عشر: قوله لأصحابه: لا تعصوا لعليّ أمراً. (البحار ٩: ٤٩٦).

الرابع عشر: قولـه إذا اشتد به الأمر وضاقت عليه المسالك التجأ إلى علي عليه السلام، وإذا حلّها أمير المؤمنين عليه السلام قـال عمـر: هـذا أمرنـا أن نسألك. (البحار ٩: ٤٧٩).

***

الفصل الخامس

نتابع قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته «... والاعتذار منها»

بعد ما عرفت أيها القارئ الكريم طرفاً من أخبار القوم والأخطاء التي مارسوها على مرأىً ومسمعٍ من المسلمين في شتّى الميادين، الفقهية، والسياسية... أنّها كانت عثرات صارخة لا تصدر من أدنى مسلم، وإذا بها تصدر من أعلى قيادة في الحكومة، وإنّ أبرز عمل إجرامي قاموا به هو هتك حرمة ابنة الرسول فاطمة عليها السلام، إذ هجموا على دارها، وروّعها بحرق بابها، وكسر ضلعها، ولطم خدّها، وعصرها بين الحائط والباب، وإسقاط جنينها، وقود بعلها بحمائل سيفه إلى المسجد، وتهديده بالقتل إن لم يبايع، وإلى ما هنالك من مصائب ومحن وجرأة في مخالفة النصوص الصريحة من القرآن والسنّة.

أقول: في هذه وفي غيرها من المواقف تجد عشرات المصادر قد روت لك تلك الأحداث ونقلتها نقلاً أميناً، ورواتها هم كبار الصحابة الثقات، ومنابعها كتب الجمهور الصحاح.

إذاً صدق أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: «يكثر العثار فيها».

ثمّ اردف قوله ذاك: «والاعتذار منها»، أي ويكثر الاعتذار من تلك الممارسات الخاطئة التي أوّل ما صدرت من أبي بكر، إذ أسّس قاعدة سار عليها القوم من بعده، فأصبحت مقياساً ومسلكاً للأجيال المتعاقبة.

إنّها قاعدة الاجتهاد، (تأوّل فأخطأ)، يا لها من قاعدة كمّت الأفواه، وأغمدت فيها السيوف! وبسببها أسدلت الستائر على المجرمين الطامعين،فتعطّلت الحدود، وغصبت الحقوق! إنّها القاعدة التي شاء صانعوها أن يغلقوا الأبواب أمام كلّ غيور على دينه وعرضه وشرفه...

اجتهادات عمر بن الخطاب:

لا يسع المقام أن نذكر اجتهادات الخليفة عمر التي تعددت في جميع الأبواب، أنّها اجتهادات خالفت نصوص القرآن في أكثر من أربعين مورداً، نذكر منها بعض الموارد:

المورد الأول: قوله تعالى: ﴿الطّلاق مرّتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ... فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتّى تنكح زوجاً غيره﴾[1]. وهذا يعني أنّ التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة.

(١) البقرة: ٢٢٩.

وإذا كان الطلاق رجعياً فيعني الرجوع مرتين؛ مرة بعد مرة؛ لأنّه لا رجعة بعد الثلاثة.

عن ابن عبّاس ـ من عدة طرق كلها صحيحة ـ قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطّاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كان لهم أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم[1].

في ذلك قال الأستاذ خالد محمّد خالد المصري: ترك عمر بن الخطّاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعته المصلحة لذلك، فبينا يقسم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظاً من الزكاة ويؤديه الرسول وأبو بكر يأتي عمر فيقول: لا نعطي على الإسلام شيئاً، وبينا يجيز الرسول وأبو بكر بيع أمهات الأولاد يأتي عمر فيحرم بيعهن، وبينا الطلاق الثلاث في مجلس واحد يقع واحداً بحكم السنة والإجماع جاء عمر فترك السنة وحطّم الإجماع[2].

المورد الثاني: سأل عمر بن الخطّاب النبي ﷺ عن ميراث الجدّ مع الأخوة فقال لـه: ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ إنيّ أظنّك تموت قبل أن تعلمه، قال راوي هذا الحديث ـ سعيد بن المسيب ـ فمات عمر قبل

(١) صحيح مسلم، ج١، باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق، ومسند أحمد١: ٣١٤.

(٢) الديمقراطية للأستاذ خالد محمّد خالد: ١٥٠.

أن يعلمه[1].

قال عبيدة السلماني: لقد حفظت لعمر بن الخطاب في الجدّ مائة قضية مختلفة[2]، وعن عمر قال: إنّي قضيت في الجدّ قضيات لم آل فيها عن الحق[3]، قال طارق بن شهاب الزهري: كان عمر بن الخطّاب قضى في ميراث الجدّ مع الأخوة قضايا مختلفة[4].

المورد الثالث: وجوب التيمّم للصلاة: قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطّهّروا وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النّساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾[5].

وقوله سبحانه في سورة النساء: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلاّ عابري سبيلٍ حتّى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النّساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسحوا

(١) أخرجه البيهقي في سننه في شعب الإيمان، ونقله المتقي الهندي في الكنز ٦: ١٥.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي في سننهما، ونقله المتقي في الكنز ٦: ١٥.
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ونقله المتقي في الكنز ٦: ١٥.
(٤) انظر: حياة الحيوان للدميري في مادة الحيّة.
(٥) المائدة: ٦.

بوجوهكم وأيديكم إنّ الله كان عفوّاً غفوراً﴾[1].

أجمعت الأمة على أنّ فاقد الماء يتيمّم للفريضة، وهكذا المريض الذي يضره الماء أو المسافر الذي لم يجد ماءً. ولم يخالف في هذا الحكم إلاّ عمر بن الخطّاب، فإنّ المشهور عنه سقوط الفريضة عمّن فقد الماء حتّى يجده.

نقل هذه الشهرة القسطلاني في مباحث التيمّم من (إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ٢: ١٣١).

أخرج البخاري ومسلم في التيمّم من صحيحهما عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه: أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماءً. فقال: لا تصلّ.

وكان عمّار بن ياسر إذ ذاك حاضراً، فقال عمّار: أما تذكر يا أميرالمؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً، فأمّا أنت فلم تصلّ، وأمّا أنا فتمعكت في التراب وصلّيت، فقال النبيّ ﷺ: إنّما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثمّ تنفخ ثمّ تمسح بهما وجهك وكفيك. فقال عمر: اتّق الله يا عمّار، قال: إذاً لم أحدّث به! فقال عمر: نوليك ما تولّيت.

المورد الرابع: قال الله عزّ وجلّ: ﴿للرّجال نصيبٌ ممّا ترك الوالدان والأقربون وللنّساء نصيبٌ ممّا ترك الوالدان والأقربون ممّا قلّ

(١) سورة النساء: ٤٣.

منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[٢].

إنّ المواريث والفرائض كما سنّها الله سبحانه، فلا فرق بين أعجمي وعربي، غير أنّ مالكاً روى في (الموطأ) عن سعيد بن المسيب أنّه قال: أبى عمر بن الخطّاب أن يورّث أحداً من الأعاجم، إلاّ أحداً ولد في العرب. قال مالك: وإن جاءت امرأة حامل من أرض العدو فوضعته في أرض العرب فهو ولدها يرثها إن ماتت وترثه إن مات، ميراثها في كتاب الله[٣].

هذه بعض الموارد التي أفتى بها عمر بن الخطّاب والحديث يطول، تاركين التفصيل في مناسبة أخرى إن شاء الله.

وعليه إنّ قوله عليه السلام: «ويكثر العثار فيها والاعتذار منها»، إنّ أبا بكر وعمر كانا كثيراً ما يحكمان بالأمر ثمّ ينقضانه، وبالخصوص أنّ ذلك كان بارزاً في فتاوى عمر بن الخطاب، حيث كان يفتي بالفتيا ثمّ يرجع عنها ويعتذر مما أفتى به أولاً.

أقول: هل يوجد مسوّغ للاجتهاد مع وجود النصّ؟ ثمّ ماذا

---

(١) النساء: ٧.

(٢) النساء: ١١.

(٣) انظر: كتاب الفرائض من الموطأ ٢: ١١.

نفهم من كلمة اجتهاد؟ وماذا تعني كلمة نصّ؟ أسئلة تتبادر إلى الأذهان في كلّ حين وعند كلّ باحث، فما علينا إلاّ أن نفهم - ولو بصورة مجملة - معاني المصطلحات المذكورة آنفا.

الكل منّا يعلم أنّ الإسلام هو خاتم الأديان، وأنّ القرآن الكريم خاتم الشرائع السماوية، وهذا يعني أنّ الله سبحانه وتعالى أودع في كتابه العزيز ما يحتاجه البشر من أحكام في العبادات والمعاملات والسلوك والسنن وما يصلح دنياهم وآخرتهم، فكان من الميسور على المسلم أن يبحث عن الحكم الشرعي في النصّ القرآني، ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب فإنّ ظهور القرآن حجّة لا محالة من ذلك.

ثمّ إنّ العرب بكل شرائحهم قد عرفوا أساليب الخطاب والبيان، فما كان يحمل على الحقيقة واضح بيّن، وما كان يحمل على المجاز كذلك يفهمه الجميع.

وإذا لم يتطرق القرآن الكريم إلى حكم شرعيّ ما التجأ المسلمون إلى البحث عنه في قول المعصوم عليه السلام، فكانت سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام هي المنبع الثاني للأحكام الشرعية، وبهذا يتضح معنى الكتاب والعترة وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.

إذاً المراد من النص هو ما صّرح فيه بالحكم الشرعي، سواء كان الحكم في الأمور العبادية أو في الأمور الحياتية أي المعاملات والعقود، أمّا الاجتهاد هنا فهو مأخوذ في مقابل النصّ، أي الحكم بالرأي، وقد

عرّفوه بالذوق الشخصي والنظر، وعرّفه ابن القيّم: (ما يراه القلب بعد فكر وتأمّل وطلب لمعرفة وجه الصواب)[1]. وهذا يعني أنّ المفتي يجنح إلى مذاقه الخاص ليصدر فتوى في المسألة الكذائية دون أن يعمد إلى النصّ الصريح من القرآن والسنّة.

وهذا اتجاه جديد حصل بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة على يد الخليفة أبي بكر، إنّه اتجاه جديد في الحكم والقضاء بين المسلمين، وكان لـه الأثر السيّء في تاريخ الحياة العقلية الإسلامية.

والحكم بالرأي على قسمين:

الأول: هو الذي عرضناه آنفاً.

والثاني: هو ما يصطلح عليه بالاجتهاد الشخصي أو العملي، وهو استفراغ وسع الفقيه الجامع للشرائط لاستنباط المسائل الشرعية من الكتاب والسنة بعد الجمع والترجيح بالطرق الواردة بعد العرض على القرآن والأصول الإجماعية.

وفي هذا يقول ثقة الإسلام الشيخ الكليني: والشرط من الله في ما استعبد به خلقه أن يؤدّوا جميع فرائضه بعلم ويقين وبصيرة إلى أن قال: ومن أراد الله خذلانه وأن يكون إيمانه معاراً مستودعاً سبّب لـه أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل بغير علم وبصيرة[2].

(1) إعلام الموقعين ١: ٦٦. دار الجيل - بيروت ١٩٧٣ تحقيق طه عبد الرزاق سعد.

(2) الكافي: المقدمة.

وقال النعماني في كتاب (الغيبة): القرآن مع العترة والعترة مع القرآن، ومن التمس علم القرآن والتأويل والتنزيل والحلال والحرام والخاص والعام من عند غير من فرض الله طاعتهم وجعلهم ولاة الأمر بعد نبيه فقد تاه وضل وهلك وأهلك... إلى أن قال: وأعجب من هذا، ادّعى هؤلاء أن ليس في القرآن علم كلّ شيء وأنّهم لمّا لم يجدوا فيه احتاجوا إلى القياس والاجتهاد والرأي، وافتروا على النبيّ صلى الله عليه وآله الكذب والزور بأنّه أباح لهم الاجتهاد وأطلقه لهم، وغفلوا أمر الله في قوله: ﴿ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم﴾[1]، وفي قوله: ﴿فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2] نعم، لو ردّوا الأمر إلى أهل الذكر وهم أهل البيت عليهم السلام لأوصلهم الله إلى نور الهدى، وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون، وأغناهم عن القياس والاجتهاد والرأي...

هذا الاجتهاد الذي لم يتخذ من القرآن والسنة منبعاً للتفكير والاستنباط فهو باطل، وصاحبه يعتمد رأيه الشخصي الذي يورده الهلاك كما ورد في الحديث.

نعم، يبقى المعنى الأخصّ، وذلك هو عمل الفقيه في النصوص الشرعية من القرآن والسنة وأخبار أهل البيت عليهم السلام فيجمع بين

(1) النساء: ٨٣.

(2) الأنبياء: ٧.

النصوص والأخبار ليستنبط منها حكماً شرعياً في مسألة ما بعد أن يرجّح ضمن مرجحات علمية.

وربما اعترضنا قائل فقال: ماذا تصنع بحديث معاذ بن جبل لمّا بعثه النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن، قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: فإن لم تجد في سنّة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو قال: فضرب رسول الله صدره، وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول الله لما يرضاه رسول الله. رواه أحمد وأبو داود والترمذي[1].

أقول: هذا الحديث لم يصح عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) بطريق معتبر، وقد أورده الجوزقاني في الموضوعات، ولم يجد لـه طريقاً معتبراً[2].

وشكّ باحثون آخرون في صحة إسناد هذا الحديث إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) من حيث المتن، حيث اشتملت الرواية على اصطلاحات دقيقة تعتبر وليدة عصر ما بعد الصحابة، وهذا ما دعاهم إلى التشكيك في قيمة إسناد هذه الرواية إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله).

وكيف كان، إنّ مدرسة الرأي تميّزت منذ أول يوم بعد وفاة

---

(١) انظر: إرشاد الفحول.

(٢) للاطلاع انظر: الأصول العامة للفقه المقارن (العلامة السيد محمّد تقي الحكيم): ٣٣٩.

الرسول (صلى الله عليه وآله) بشيء كثير من الجرأة في إعطاء الحكم والفتوى. واستمر الحال طيلة فترة الخلفاء الثلاثة حتّى تبلورت مدرسة الرأي على يد أبي حنيفة النعمان، والباحث يجد في تأريخ صاحب هذا المذهب أنّه قليل العناية بالحديث، فلم يصحّ لديه أكثر من سبعة عشر حديثاً كما صرّح به ابن خلدون في مقدّمته، علماً أنّ أبا حنيفة كان كثير الاعتداد برأيه في قبال الحديث.

إذا عرفنا هذا المجمل من تعريف النصّ والاجتهاد بالرأي سوف تتضح لك ـ عزيزي القارئ ـ جميع فتاوى الخلفاء الثلاثة، إذ إنّها لم تعتمد النص القرآني، بل اعرضوا عن ذكر الله واتخذوا الاجتهاد بالرأي مسلكاً جديداً، وإليك واحدة من تلك المواقف التي اجتهد فيها الخليفة فأصبحت عاراً في جبين التاريخ.

من اجتهادات الخليفة أبي بكر ما حصل (يوم البطاح) أو قل عنه: يوم مالك ابن نويرة وقومه من بني تميم، حيث تجاوز عن جرائم خالد بن الوليد التي لا تعدّ، ومنها: إنّه قتل جمعاً غفيراً من المسلمين منهم مالك بن نويرة، ثمّ بنى بزوجة مالك من ليلته... إلى آخره. وقد مرّ الكلام في الصفحات المتقدمة فراجع، وما عذر أبي بكر في خالد إلاّ عبارته المشهورة: إنّه اجتهد فأخطأ.

***

الفصل السادس

الإمام والشورى وحديث المناشدة

روى العلاّمة السيد هاشم البحراني بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه: أنّ علياً عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص أمرهم عمر بن الخطّاب أن يدخلوا بيتاً ويغلقوا عليهم بابه ويتشاوروا في أمرهم، وأجّلهم ثلاثة أيام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قتل ذلك الرجل، وإن توافق أربعة وأبى اثنان قتل الاثنان، فلمّا توافقوا جميعاً على رأي واحد قال لهم عليّ بن أبي طالب: «إنّي أحبّ أن تسمعوا منّي ما أقول لكم، فإن يكن حقاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فانكروه». قالوا: قل.

قال: «أنشدكم بالله ـ أو قال: أسألكم بالله ـ الذي يعلم سرائركم ويعلم صدقكم إن صدقتم، ويعلم كذبكم إن كذبتم، هل فيكم أحد من قبلي آمن بالله ورسوله وصلّى القبلتين قبلي؟». قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم من يقول الله عز وجل: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾ سواي؟»، قالوا: اللّهم

لا. قال: «فهل فيكم أحد نصر أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وكفاه غيري؟».

قالوا: اللّهم لا. قال: «فهل فيكم أحد زيّن أخوه بالجناحين في الجنة غيري؟». قالوا: اللّهم لا. قال: «فهل فيكم أحد وحّد الله قبلي ولم يشرك بالله شيئاً؟»، قالوا: اللّهم لا. قال: «فهل فيكم أحد عمّه حمزة سيد الشهداء غيري؟». قالوا: اللّهم لا. قال: «فهل فيكم أحد زوجته سيدة نساء أهل الجنة غيري؟». قالوا: اللّهم لا. قال: «فهل فيكم أحد ابناه سيّدا شباب أهل الجنة غيري؟». قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد اعلم بناسخ القرآن ومنسوخه والسنّة مني؟». قالوا: اللّهم لا قال: «فهل فيكم أحد سمّاه الله عز وجل في عشر آيات مؤمناً غيري؟». قالوا: اللّهم لا.

قال: «فهل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات يقدّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟». قالوا: اللّهم لا. قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، ليبلّغ الشاهد هذا الغائب ذلك»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم رجل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «لاعطينّ الراية رجلاً غداً يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرار، لا يولّي الدبر، يفتح الله على يديه»، وذلك حيث رجع أبو بكر وعمر منهزمين، فدعاني وأنا أرمد فتفل في عيني، وقال: «اللّهم أذهب عنه الحرّ والبرد»، فما وجدت بعدها حرّاً ولا برداً يؤذياني، ثمّ أعطاني الراية فخرجت بها

ففتح الله على يدي خيبر، فقتلت مقاتليهم وفيهم مرحب، وسبيت ذراريهم، فهل كان ذلك غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ، وأشدّهم حباً لي ولك، يأكل معي من هذا الطائر»، فأتيت فأكلت معه، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثن عليكم رجلاً كنفسي، طاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يعصاكم ـ أو يقصعكم ـ بالسيف»، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم من سلّم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من الملائكة ـ وفيهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ـ ليلة القليب لمّا جئت بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له جبرئيل عليه السلام: هذه هي المواساة، وذلك يوم أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّه مني وأنا منه»، فقال جبرئيل: «وأنا منكما» غيري؟». قالوا: لا قال: «فهل فيكم أحد نودي من السماء: «لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ»، غيري؟». قالوا: لا قال: «فهل فيكم من يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبيّ غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله: مع الملائكة المقرّبين بالروح والريحان، تقلّبه لي الملائكة وأنا أسمع قولهم وهم يقولون:

«استروا عورة نبيكم ستركم الله»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد بعث الله عزّوجل إليه بالتعزية حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام تبكيه، إذ سمعنا حسّاً على الباب، وقائلاً يقول نسمع صوته ولا نرى شخصه، وهو يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ربّكم عز وجل يقرئكم السلام ويقول لكم: إنّ في الله خلفاً من كلّ مصيبة، وعزاءً من كلّ هالك، ودركاً من كلّ فوت، فتعزّوا بعزاء الله، واعلموا أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وأنا في البيت والحسن والحسين أربعة لا خامس لنا إلا رسول الله مسجّىً بيننا، غيرنا؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ردّت عليه الشمس بعد ما غربت أو كادت حتّى صلّى العصر في وقتها، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأخذ براءة من أبي بكر بعد ما انطلق أبو بكر بها فقبضها منه، فقال أبو بكر بعد ما رجع: يا رسول الله، أنزل فيّ شيء؟ فقال: «لا، إلاّ أنّه لا يؤدّي عني إلاّ عليّ»، غيري؟». قالوا: لا.

قال : «فهل فيكم من قال لـه رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت منّي بمنزلـة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي، ولو كان نبيّ بعدي لكنته يا عليّ» ، غيري ؟» . قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد قال لـه رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ كافر»،

غيري؟». قالوا: لا.

قال: «أتعلمون أنّه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي، فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :ما أنا سددت أبوابكم، ولا أنا فتحت بابه، بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابه؟». قالوا: نعم. قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ناجاني يوم الطائف دون الناس، فأطال ذلك، فقال بعضكم: يا رسول الله، إنّك أنتجيت علياً دوننا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :ما أنا أنتجيته، بل الله عز وجل أنتجاه؟». قالوا: نعم.

قال: «أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الحق بعدي مع عليّ وعلي مع الحق يزول الحق معه حيث زال؟». قالوا: نعم. قال: «فهل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وإنّكم لن تضلّوا ما اتّبعتموهما واستمسكتم بهما؟». قالوا: نعم.

قال: «فهل فيكم أحد وقى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، وردّ به مكر المشركين واضطجع مضجعه، وشرى بذلك من الله نفسه غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم حيث آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه أحد كان لـه أخاً غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ذكره الله عز وجل بما ذكرني إذ قال: ﴿والسّابقون السّابقون أولئك المقرّبون﴾[1]، غيري؟ فهل سبقني

---

(١) الواقعة: ١٠ـ١١.

فيكم أحدٌ إلى الله ورسوله؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد آتى الزكاة وهو راكع فنزلت فيه ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون﴾[1]، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد برز لعمرو بن عبد ودّ حيث عبر خندقكم وحده ودعا جمعكم إلى البراز فنكصتم عنه، وخرجت إليه فقتلته وفتّ الله بذلك في أعضاد المشركين والأحزاب، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ترك رسول الله ﷺ بابه مفتوحاً في المسجد، يحلّ له ما يحلّ لرسول الله ﷺ ويحرم له ما يحرم على رسول الله ﷺ فيه غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول الله تعالى: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[2] غيري وزوجتي وابنيّ؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألت الله عزّ وجل لي شيئاً إلاّ سألت لك مثله»، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد كان صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلها غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد ناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب من تحت

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

قدميه فرمى بها في وجوه الكفّار فانهزموا، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قضى دين رسول الله ﷺ وانجز عداته، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد اشتاقت الملائكة إلى رؤيته فاستأذنت الله تعالى في زيارته، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ وأداته غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد استخلفه رسول الله ﷺ في أهله، وجعل أمر أزواجه إليه من بعده غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد حمله رسول الله ﷺ على كتفه حتّى كسّر الأصنام التي كانت على الكعبة غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد اضطجع هو ورسول الله ﷺ في لحاف واحد إذ كفلني غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت صاحب رايتي ولوائي في الدنيا والآخرة»، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد كان أوّل داخل على رسول الله ﷺ وآخر خارج من عنده لايحجب عنه، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد نزلت فيه وفي زوجته وولده: ﴿ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[1]، إلى سائر ما اقتص الله تعالى من ذكرنا في هذه السورة، غيري؟». قالوا: لا.

(١) الإنسان: ٨.

قال: «فهل فيكم أحد نزلت عليه هذه الآية: ﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله﴾[1]، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد أنزل الله تعالى من خبر المؤمنين[2] غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أنزل الله عز وجل فيه وفي زوجته وولديه آية المباهلة، وجعل الله عز وجل نفسه نفس رسول الله، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: ﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾[3] لّما وقيت رسول الله ﷺ ليلة الفراش، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد سقى رسول الله ﷺ من المهراس[4] لّما اشتدّ ظمأه وأحجم عن ذلك اصحابه، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال رسول الله ﷺ «اللّهم إنّي أقول كما قال عبدك موسى»: ﴿قال ربّ اشرح لي صدري* ويسّر لي أمري* واحلل عقدةً مّن لّساني* يفقهوا قولي* واجعل لّي وزيراً مّن أهلي*

---

(١) التوبة: ١٩.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لاّ يستوون﴾. السجدة:١٨.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) المهراس: ماء بجبل أحد، لّما عطش النبي ﷺ جاءه عليّ وفي درقته ماء من المهراس، معجم البلدان ٥: ٢٣٢.

هارون أخي* اشدد به أزري﴾[1]، إلى آخر دعوة موسى عليه السلام إلاّ النبوة، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أدنى الخلائق لرسول الله ﷺ يوم القيامة، وأقرب إليه منّي كما أخبركم بذلك ﷺ، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم من قال له رسول الله ﷺ: «أنت وشيعتك هم الفائزون، تردون يوم القيامة رواء مرويّين، ويرد عدوّك ظماءً مقبحين»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «من أحبّ هذه الشعرات فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله تعالى، ومن أبغضها وآذاها فقد أبغضني وآذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً». فقال أصحابه: وما شعراتك هذه يا رسول الله قال: «عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الأعظم الذي يفرق بين الحق والباطل»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد طرح عليه رسول الله ﷺ ثوبه وأنا تحت الثوب وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ قال: «اللّهم أنا وأهل بيتي

---

(١) سورة طه: ٢٥ـ٣١.

هؤلاء، إليك لا إلى النار»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال لـه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالجحفة بالشجيرات من خمّ: «من أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله تعالى»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينه وبين زوجته، وجلس بين رسول الله وزوجته، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا ستر دونك يا عليّ»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد احتمل باب خيبر يوم فتح حصنها، ثمّ مشى به ساعة، ثمّ ألقاه، فعالجه بعد ذلك أربعون رجلاً فلم يقلّوه من الأرض، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم من قال لـه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت معي في قصري ومنزلك تجاه منزلي في الجنة»، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد قال لـه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت أولى الناس بأمّتي من بعدي، والى الله من والاك، وعادى من عاداك، وقاتل من قاتلك بعدي»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد صلّى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل الناس سبع سنين وأشهراً غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد قال لـه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّك عن يمين العرش يا عليّ يوم القيامة، يكسوك الله عز

وجل بردين أحدهما الأحمر والآخر الأخضر»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أطعمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاكهة الجنة لمّا هبط بها جبرئيل وقال: لا ينبغي أن يأكلها في الدنيا الآ نبيّ أو وصيّ، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد قال لـه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت اقومهم بأمر الله، وأوفاهم بعهد الله، وأعلمهم بالقضية، وأقسمهم بالسوية، وأفقههم بالرعيّة»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد قال لـه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنت قسيم النار تخرج منها من آمن وأقرّ، وتدع فيها من كفر»، غيري؟». قالوا: لا. قال: «فهل فيكم أحد قال للعين وقد غاضت: (انفجري)، فانفجرت فشرب منها القوم، وأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين معه فشرب وشربوا وشربت خيلهم وملأوا رواياهم، غيري؟». قالوا: لا.

قال: «فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حنوطاً من حنوط الجنة، فقال: «اقسم هذا أثلاثاً: ثلثاً حنّطني به، وثلثاً لابنتي، وثلثاً لك»، غيري؟». قالوا: لا.

قال: فما زال يناشدهم ويذكر لهم ما أكرمه الله تعالى وأنعم عليه به، حتّى قام قائم الظهيرة ودنت الصلاة، ثمّ أقبل عليهم فقال: «أمّا إذا أقررتم على أنفسكم، وبان لكم من سببي الذي ذكرت فعليكم بتقوى الله وحده، وأنهاكم عن سخط الله، فلا تعرضوا ولا تضيّعوا أمري، وردّوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيكم (صلى الله عليه وآله) وسنّتي من بعده، فإنّكم

إن خالفتموني خالفتم نبيكم صلى الله عليه وآله، فقد سمع ذلك منه جميعكم، وسلّموها إلى من هو لها أهل وهي لـه أهل. أما والله ما أنا بالرّاغب في دنياكم، ولا قلت ما قلت لكم افتخاراً ولا تزكية لنفسي، ولكن حدّثت بنعمة ربّي، وأخذت عليكم بالحجة»، ثمّ نهض إلى الصلاة.

قال: فتآمر القوم فيما بينهم وتشاوروا، فقالوا: قد فضّل الله عليّ بن أبي طالب بما ذكر لكم، ولكنّه رجل لا يفضّل أحداً على أحدٍ، ويجعلكم ومواليكم سواءً، وإن ولّيتموه إيّاها ساوى بين أسودكم وأبيضكم ولو وضع السيف على عنقه، ولكن ولّوها عثمان، فهو أقدمكم ميلاداً، وألينكم عريكةً، وأجدر أن يتبع مسرّتكم، والله غفور رحيم[1].

أقول: هذه المناشدة غير التي ذكرها عليه السلام لأبي بكر بعد حادثة السقيفة. وقد ذكر عليه السلام لأصحاب الشورى من فضائله وما نزل في حقّه من آيات وما قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله من الأحاديث الشيء الكثير خلال الأيام الثلاثة التي كانوا يجتمعون فيها، إلاّ أنّ الشيخ الطوسي لم يعدّد تلك المآثر والفضائل إلاّ (٧٢) منقبة وفضيلة، وكل هذه التي ذكرت قد روتها كتب علماء الجمهور وبأسانيد صحيحة معتبرة قد بلغت من التواتر والشهرة ما لا يخفى على أدنى باحث.

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٤٥ ـ ٥٥٤، المجلس ٢٠، الحديث ٤. التحفة البهية في إثبات الوصية ١: ٢٨٤ ـ ٢٩٥، الحديث ٢، ط ١، قم، ٢٠٠٤م.

قوله عليه السلام: «فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن».

عرفت أنّ أعضاء الشورى الذين عيّنهم عمر بن الخطّاب هم ستة: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وكان سعد من بني عم عبد الرحمن ؛ كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من علي عليه السلام من قبل أخواله؛ لأن أمّه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلي عليه السلام في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

أمّا عبد الرحمن بن عوف كان صهراً لعثمان؛ لأن زوجته (أم كلثوم) بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمّه.

أمّا طلحة بن عبيد الله فكان ميّالاً لعثمان لصلاتٍ بينهما، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي عليه السلام ؛ لأنه تيميّ، وقد كان بين تيم وبني هاشم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر.

بعد موت عمر بن الخطّاب اجتمع الستة وتشاوروا فاختلفوا، فانضمّ طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى عليّ، وسعد إلى عبد الرحمن، وكان عمر قد أوصى بألا تطول مدة الشورى على ثلاثة أيام، وقال: إذا كان الخلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن.

فأقبل عبد الرحمن على علي عليه السلام وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده. قال عليّ:

أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي. ثمّ دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجابه بنعم.

فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة، وقال: اللّهم اسمع واشهد، اللّهم إنّي جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وصفق بيده في يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وبايعه.

قالوا: وخرج الإمام عليّ عليه السلام واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت علياً وأنّه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد، لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إنّي أخشى عليك الفتنة، فاتق الله.

ثمّ لمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأنصار ووجد عليه كبار الصحابة، قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك. فقال: ما كنت أظن هذا به، ولكن لله عليّ ألاّ اكلّمه أبداً. ثمّ مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان.

أعضاء الشورى:

تزداد أواصر المحبّة والولاء بين عمر وعثمان منذ كتابة العهد لعمر، وذلك يوم أغمي على أبي بكر وقبل أن يدلي بأمر الخلافة إلى آخر

من بعده، فهذا عثمان كاتب عهد أبي بكر كتب بعد البسملة: هذا ما أوصى به أبو بكر، أما بعد... ثمّ أغمي عليه، فكتب عثمان ـ من عند نفسه ـ عمر بن الخطّاب. فأفاق أبو بكر فقال: اقرأ، فقرأه فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟ قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثمّ أتم العهد وأمره أن يقرأه على الناس[1]، ووفاءً لهذا الموقف واعترافاً لذاك الجميل الذي لولا عثمان وما كتبه في الصحيفة من تولية عمر الخلافة لما نالها ابن الخطاب أبداً.

أقول: وفاءً لكل ذلك صيّر عمر أمر الخلافة من بعده في شورى تتألّف من ستة أشخاص من كبار الصحابة، ولكن الهدف ـ كلّ الهدف ـ هو عثمان بن عفان وذوو لحمته من بني أميّة، وقد حذّر عمر بن الخطّاب هذه الزمرة من مغبّة الاختلاف في الشورى بعد أن ربط عثمان بعبد الرحمن بن عوف فهو صهره، كما لا يخفى ميل سعد بن أبي وقاص إلى صهره عبد الرحمن، وفي ذلك أوصاهم عمر بن الخطاب بكلمتين:

أوّلهما: قال: لا تختلفوا، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص لكم بالمرصاد.

والثانية: قوله: إذا تساوت الآراء في الشورى فمن معه عبد الرحمن هو الفائز، ومن خالف فاضربوا عنقه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٥ ط، دار إحياء التراث العربي، وفي ص ١٦٣ ورد عهد أبي بكر بصيغة أخرى، فراجع.

وبديهي أنّ الفائز مع عبد الرحمن هو عثمان، وأنّ المخالف لا يشك في كونه أمير المؤمنين علي عليه السلام، لذا أمرهم بقتله.

من هم أعضاء الشورى؟

أجمعت المصادر على أنّ الأعضاء هم:

١ـ طلحة بن عبد الله التيمي. ٢ـ سعد بن أبي وقاص. ٣ـ عبد الرحمن بن عوف. ٤ـ الزبير بن العوام. ٥ـ عثمان بن عفان. ٦ـ عليّ بن أبي طالب.

آراء الخليفة عمر بن الخطاب فيهم :

قال عمر بن الخطاب في طلحة وكان مبغضاً لـه منذ أن أشار على ابن عمّه أبي بكر أن يعرض عن عمر في عهده لـه، حيث قال: (ماذا تقول إذا سألك الله كيف خلّفت على أمة محمّد هذا الفظّ الغليظ؟).

فتوجّه إليه أبو بكر فقال: أقول أم أسكت؟ أجابه طلحة: قل، فإنّك لا تقول من الخير شيئاً. قال أبو بكر: أمّا إنّي أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أحد والبأو[1] الذي حدث لك ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.

وقال فيه عمر: (أنّ طلحة رجل متكبر جشع).

---

(١) البأو: أي بأوا عليهم: فخر، تكبّر.

قال الجاحظ: الكلمة المذكورة: إنّ طلحة لمّا نزلت آية الحجاب، قال بمحضر ممّن نقل عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ.

وقال الجاحظ: لو قال لعمر قائل: أنت قلت إنّ رسول الله مات وهو راضٍ عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحة إنّه مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه. ولكن من الذي يجسر على عمر أن يقول لـه ما دون هذا؟

ولا يخفى على اللبيب أنّ عمر صاغ الشورى بشكل أن تؤدي الآراء إلى انتخاب عثمان بدون تردّد، وما الشورى إلا مكيدة للإيقاع بعلي وبني هاشم، وقد نقلت لك كيف هدّد عمر أعضاء الشورى بمعاوية وعمرو بن العاص، وهو الذي قال في عثمان:

(وعثمان تقلّده قريش هذا الأمر فيحمل بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ويؤثرهم بالفيء، فيسير إليه عصابة من ذؤبان العرب فيذبحونه على فراشه ذبحاً).

وفي عبارة أخرى قال: (إن وليها سلّط بني معيط على رقاب المسلمين، فيتخذون عباد الله خولاً، ومال الله دولاً...).

وأكّد قولـه هذا بقولـه الأخير: كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك، ثمّ اعطف، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثمّ أخذ بناصية عثمان وقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنّه كائن.

هذا تصريح واضح من الخليفة الراحل وهو على فراش الموت، فهل تعتقد أنّها فراسة منه أم تدبير محكم في إقصاء الإمام عليّ من الخلافة وتقليدها لعثمان ابن عفان؟!

وفي سعد بن أبي وقاص قال عمر: (إنّه رجل لا يصلح إلا للقوس والنشاب ـ يقصد بذلك الحرب ـ ولا رأي له في الإدارة).

وفي عبد الرحمن بن عوف قال: (لا يصلح إلاّ للعبادة).

وفي الزبير بن العوام قال: (إنّه يوم شيطان رجيم ويوم برّ رحيم).

وفي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: (لله أنت، لولا دعابة فيك، أما والله لئن ولّيتهم لتحملنّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء).

هذه تصريحات دقيقة أدلى بها عمر بن الخطّاب وهو في سياق الموت. وقد عرفت عزيزي القارئ أنّ كلّ واحد من أصحاب الشورى متلبّس بخطايا وسلوك غير مرضٍ إلاّ عليّ بن أبي طالب، وقد فتّش فيه أعداؤه ومبغضوه فلم يجدوا فيه إلاّ خلة حسنة وهي الدعابة. ترى هل ذلك نقص في عليّ أو جميل وحسنٌ؟ وهل يجب على المؤمن أن يكون فظاً غليظاً أو يكون هشاً بشاً رؤوفاً بالمؤمنين عطوفاً عليهم؟

إذاً عليّ لا يقاس بأحد سواء من أعضاء الشورى الستة أم من غيرهم من الصحابة.

***

الفصل السابع

قوله عليه السلام: «إلى أن قام ثالث القوم...» وأراد به عثمان

سيرة عثمان بن عفان:

عثمان هو أحد الستة من أصحاب الشورى الذين عيّنهم عمر بعد أن طعن، ورشّحه عبد الرحمن بن عوف للخلافة، ثمّ ندم على ذلك، وأوصمه عثمان بالنفاق واعتزله عبد الرحمن؛ لأنّه لم يوف بالعهد من اتباع حدود الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر.

بويع بالخلافة يوم السبت أول محرم سنة (٢٤هـ)، وقتل في المدينة يوم الجمعة في ذي الحجة سنة (٣٥هـ) عن عمر ناهز التسعين[1]، ودفن في (حش كوكب) وهو ملك لبعض اليهود.

لم يبلغ عثمان درجة أبي بكر ولا عمر ولا جميعاً في الحزم والعمل، ولم يعرف عنه إلا دون أبي بكر في سبقته، ولم يعرف عنه شيء يذكر في الحروب والغزوات سوى هجرته للحبشة والمدينة.

وسوف نتطرق إلى شيء من أعماله وسلوكه واجتهاداته، وكيف

---

(١) وقيل: ناهز الثمانين، على اختلاف في الروايات.

كان يعامل الصحابة معاملة خارجة عن المنطق السليم، وكيف كان يقرّب عشيرته وأبناء جلدته من بني أميّة حتّى صيّر الخلافة ملكاً عضوضاً لهم...

اجتهادات عثمان وما فيها من مخالفات للنص القرآني:

روى الطبري، عن الواقدي، عن عمر بن صالح بن نافع، عن صالح مولى التوامة، عن ابن عبّاس، قال: أوّل ما تكلّم الناس في عثمان ظاهراً أنّه صلّى بالناس بمنى في ولايته ركعتين طبق الآية الكريمة، وعمل بما كان يعمله رسول الله والشيخان بها، وعمله نفسه لستّ سنوات، والآية هي: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناحٌ أن تقصروا من الصّلاة﴾[1][2].

غير أنّ عثمان اتمّها بعد السنة السادسة في خلافته، فعابه على ذلك صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وتكلّم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتّى جاءه عليّ في من جاءه فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيّك يصلّي ركعتين، ثمّ أبا بكر، ثمّ عمر، وأنت صدراً في ولايتك، فما أدري ما رجعك إليه؟ قال عثمان: رأي رأيته.

كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافر وقصرها ١: ٢٥٨، عن يعلى بن أمية جاء فيه تأكيد للقصر.

---

(١) النساء: ١٠١.

(٢) انظر: حوادث سنة ٢٩ للهجرة من تاريخ الطبري ٣: ٣٢٢.

وفي (صحيح مسلم) ايضاً عن ابن عمر جاء فيه التأكيد على قصر الصلاة في السفر زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر.

وفي (صحيح البخاري) عن ابن عبّاس ١: ١٣١: قام النبي (١٩ يوماً) في مكة يقصر.

انظر تفصيل هذا الحدث في: الكامل لابن الاثير ٣: ٤٩. مسند أحمد ٤: ٩٤ و٢: ٤٤. الموطأ لمالك١: ٢٨٢. سنن النسائي ٣: ١٢٠. مسند أحمد بن حنبل١: ٣٧٨. كتاب الأم للشافعي١: ١٥٩ و٧: ١٧٥. سنن البيهقي ٣: ١٤٤ و١٥٣. المحلّى لابن حزم٤: ٢٧٠.

وهناك عشرات المصادر نقلت هذا التصرف من عثمان، وهو خلاف النصّ القرآني وسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسيرة أبي بكر وعمر.

وقد أراد البعض أن يدافع عن عثمان فالتمس له عذراً، فذلك ابن قيّم الجوزية ادّعى أنّ لعثمان في ذلك المكان مالاً وأهلاً وقد تزوّج هناك.

غير أنّ أهل العلم والفقه والرواية من السنّة ردّوا هذا الادعاء وابطلوه، وعلى رأسهم ابن حجر في (فتح الباري) عمّا أخرجه أحمد البيهقي، قال: وقد كان عثمان محرماً ولا يجوز للمحرم أن يخطب أو ينكح.

وهذا ما روي عن عثمان نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخرجه مالك في (الموطأ)، والشافعي في (الأم)، وأحمد بن حنبل في (المسند)، ومسلم في صحيحه، والنسائي في سننه، وأبو داود في سننه، وابن ماجه

في سننه، وفي ذلك قال ابن حزم في (المحلّى) ٧: ١٩٧: لا يجوز نكاح المحرم، إن نكح نزع منه امرأته.

كان هذا التغيير والتلاعب بالنصوص والسنّة الشريفة هو في مقدّمة الطعون التي وجّهت إلى عثمان وعدّوها مهمة جداً.

تعطيل الحدود التي فرضها الله سبحانه :

من الملاحظات على عثمان في خلافته تعطيل الحدّ في القصاص، وذلك لمّا وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله لا شيء إلاّ لكونه صديقاً لأبي لؤلؤة.

أخرج البيهقي في (السنن الكبرى) ٨: ٦١ مسنداً لعبيد الله بن عمر: أنّه لمّا طعن عمر بن الخطّاب بيد أبي لؤلؤة وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله، فقيل لعمر: إنّ عبيد الله ـ ولدك ـ قتل الهرمزان.

قال: ولم قتله؟ قال: إنّه قتل أبي. قال: وكيف ذلك؟ قال: رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة، وهو أمره بقتل أبي. قال عمر: ما أدري ما هذا، انظروا إذا أنا متّ فاسألوا عبيد الله البيّنة على الهرمزان هو قتلني؟ فإنّ أقام البينة فدمي بدمه، وإن لم يقم البينة فأقيدوا عبيد الله بالهرمزان.

فلمّا ولي عثمان قيل لـه: ألا تمضي وصية عمر في عبيد الله بن عمر؟ قال: ومن ولي الهرمزان؟ قالوا: أنت يا أميرالمؤمنين. فقال: قد عفوت عن عبيد الله بن عمر.

وفي (تاريخ اليعقوبي): إنّ الناس أكثروا اللغط في دم الهرمزان

وامساك عثمان عن عبيد الله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثمّ قال: ألا إنّي ولي دم الهرمزان وقد وهبته لله ولعمر وتركته لدم عمر.

فقام المقداد بن عمرو فقال: إنّ الهرمزان مولى لله ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله.

قال: فننظر وتنظرون. ثمّ اخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة وأنزله داراً، فنسب الموضع إليه (كويفة ابن عمر)[1].

وذكر ابن سعد حادثة الهرمزان وأنّ عبيد الله قتله وقتل معه ابنة أبي لؤلؤة وهي مسلمة، وأراد عبيد الله ألاّ يترك سبياً في المدينة إلاّ قتله، وأقسم على ذلك، فزجروه واشتدوا عليه، كما عرض بقتل بعض المهاجرين، فأخذوا سيفه وحبسوه.

وعن أبي وجزة، عن أبيه، قال: رأيت عبيد الله آنذاك وهو يناجي عثمان، وعثمان يقول لـه: قاتلك الله، قتلت رجلاً يصلّي وصبيّة صغيرة وآخر في ذمة رسول الله، ما في الحق تركك، قال: فعجبت لعثمان حين ولّي كيف تركه. وكان رأي عليّ والصحابة قتله بمن قتل[2]. كان عمل عثمان هذا خلافاً لصريح القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا كتب عليكم الـقصاص في القتلى...﴾[3].

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤١.
(٢) انظر: تفصيل الحادثة في الطبقات الكبرى لابن سعد٥: ٨، ط ليدن.
(٣) البقرة: ١٧٨.

وقال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الالباب لعلّكم تتّقون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الشّهر الحرام بالشّهر الحرام والحرمات قصاصٌ...﴾[2].

حكم الجنابة عند عثمان:

جاء في (صحيح مسلم): أنّ زيد بن خالد الجهني أخبر عطاء بن يسار أنّه سأل عثمان بن عفان: أرأيت إذا جامع الرجل أمرأته ولم يمن؟ قال عثمان: يتوضّأ كما يتوضّأ للصلاة ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله[3].

بينما سئلت عائشة فقالت بوجوب الغسل باعتباره جنابة. وهذا يعني ما أسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مكذوب عليه.

وفي (صحيح البخاري): سئل عثمان بن عفان عن الرجل يجامع فلا ينزل؟ فقال: ليس عليه غسل. ثمّ قال: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله. ونسب القول أيضاً إلى الإمام عليّ وطلحة والزبير وأبي بن كعب[4].

وقد وقع عمر بن الخطّاب في نفس المأزق، وقد ردّه الإمام علي عليه السلام ومنعه عن رأيه ذاك.

---

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) صحيح مسلم ١: ١٤٢.

(٤) صحيح البخاري ١: ١٠٩.

إذاً ما نسبه عثمان إلى علي عليه السلام فهو مكذوب عليه. وقد شهد الجميع على أنّ الإمام علياً عليه السلام أفقه الصحابة وأقضاهم وأكثرهم علماً وإيماناً. وصريح الآية الكريمة: ﴿لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلاّ عابري سبيلٍ حتّى تغتسلوا﴾[1].

ثمّ إنّ كتب الفقه عند فرق المسلمين تنصّ على الغسل من الجنابة وإن لم يكن فيه إنزال، بل يكفي التقاء الختانين[2].

أكله الصيد وهو محرم:

تكرّر من عثمان أكل الصيد وهو محرم، وهو عمل يخالف صريح القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿وحرّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرماً﴾[3].

أخرج سعيد بن منصور ـ كما ذكره ابن حزم من طريق بسر بن سعيد ـ قال: إنّ عثمان بن عفان كان يصاد لـه الوحش على الجنادل ثمّ يذبح فيأكله وهو محرم سنتين من خلافته. ثمّ إنّ الزبير كلّمه فقال: ما أدري ما هذا يصاد لنا ومن أجلنا، لو تركناه، فتركه.

وهكذا تجد قريباً منه عند الإمام الشافعي والبيهقي والطبري

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) انظر: كتاب الأم للشافعي ١: ٣١، وهامشه ص٣٤. تفسير القرطبي ٥: ٢٠٤، قال: الجنابة مخالطة الرجل المرأة. وصحيح البخاري ١: ١٠٨. صحيح مسلم ١: ١٤٢. مسند أحمد ٢: ٢٣٤ و ٣٤٧. موطأ مالك ١: ٥١. الترمذي ١: ١٦١.

(٣) المائدة: ٩٦.

وأحمد بن حنبل، وممّن شهد عثمان يأكل وهو حرم الإمام عليّ عليه السلام وقد نهاه عن أكله فلم يمتنع، وقد رفض عليّ أن يأكل من ذلك الصيد.

وأغرب من ذلك اعتراض عثمان على الإمام عليه السلام، كان يقول له: إنّك كثير الخلاف علينا. أمّا حرمة أكل لحم الصيد فهو متفق عليه عند فقهاء أهل السنة. راجع: أحكام القرآن للجصّاص٢: ٥٨٦. تفسير الطبري٧: ٤٨. المحلّى لابن حزم٧: ٢٤٩ و٢٥٠. تفسير القرطبي٦: ٣٢٢. الموطأ لمالك١: ٢٥٧، وهكذا الصحاح والمسانيد فذكرها يطول.

ما أفتى به عثمان خلافاً للنص:

من اجتهادات عثمان بن عفان إنّه أفتى بحلّية الجمع بين الأختين وقد جاء النصّ القرآني صريحاً بالتحريم، قال تعالى: ﴿حرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم... وأن تجمعوا بين الأختين...﴾[1]. فالآية تشمل الحرّة والأمة على حدٍّ سواء، والتحريم عليه إجماع الصحابة والمسلمين.

انظر: تفسير ابن كثير ١: ٤٧٣. تفسير الشوكاني١: ٤١١. أحكام القرآن للجصّاص٢: ١٥٨. وتفسير الدر المنثور للسيوطي٢: ١٣٧. وتفصيل القصة في (الموطأ) لمالك٢: ١٠.

***

(١) النساء: ٢٣.

الفصل الثامن

قوله عليه السلام: «قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته...»

أشار عليه السلام إلى عمل عثمان في احتضانه بني أميّة وبني أبي معيط ونهب الأموال والصدقات والتلاعب بأرزاق الناس، حتّى أثري عدد وافتقر الآخرون، وما ذاك إلاّ للتصريح الذي أولى به عثمان في تقسيم الأموال، حيث قال: (هذا مال الله أعطيه من شئت، وأمنعه عمّن شئت، فأرغم الله انف من رغم).

إنّها الصدقات والأخماس والفيء والزكوات وكافة الأموال من الذهب والفضة التي تجبى من أقصى الشرق والغرب، إنّها أموال المسلمين، وإذا تقسّم بين صفوة الخليفة وبطانته من آل أميّة وآل أبي معيط ونسائه وخدمه، إنّها أموال المسلمين وهبها عثمان لنفرٍ من أقربائه ليعيشوا بها عيشة الملوك والسلاطين الجبابرة.

حاشية عثمان وبطانته وأركان دولته:

من أهم الأمور التي ارتكبها عثمان في خلافته بعد مخالفاته العديدة لصريح القرآن والسنة الشريفة وسيرة أبي بكر وعمر، هي:

أوّلاً: استعمال الفسقة من بني أميّة وبني آل معيط وقد حملهم على رقاب المسلمين.

ثانياً: اقتطاع أموال الصدقات والفيء والخمس من بيت المال وإعطائها إلى شيوخ بني أمية، كأبي سفيان، ومروان، والحكم، وأمثالهم.

ثالثاً: تعطيل الحدود كما مرّ في قصة عبيد الله بن عمر والهرمزان.

رابعاً: إهانته لجملة من كبار الصحابة كابن مسعود، وعمار، والإمام علي عليه السلام، وأبي ذر، بل ونفى بعضهم[1] وضرب آخرين.

خامساً: إهانته لزوجات النبيّ ممّا دفع بعائشة أن تحرّض على قتله إذ قالت: اقتلوا نعثلاً فإنّه قد كفر.

وسوف نقتصر على بعض الشواهد لما أجملناه في الأمر الأول والثاني فحسب.

أولاً: استعمال عثمان الفسقة من بني أمية:

من الدواعي المهمة في نقمة المسلمين على عثمان هو اتخاذه فسقة

(1) الفتنة الكبرى، عثمان، د. طه حسين ص١٦٤ و١٦٥ و١٩٨، ط٩، دار المعارف بمصر.

بني أمية عمّالاً وجباة وولاة وتسليطهم على رقاب الناس، نذكر منهم نموذجين:

النموذج الأول: الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي وهو أخو عثمان من أمّه، كان أبوه عقبة ـ وأبو جهل وأبو لهب والحكم بن أبي العاص ـ من أشدّ وألد أعداء رسول الله في الجاهلية وهكذا في الإسلام.

وقد أغرى عقبة صديقه وخليله ألا وهو أبي بن خلف أن يبصق في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ففعل[1]، فنزلت فيه الآيات: ﴿ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جاءني وكان الشّيطان للإنسان خذولا﴾[2].

انظر: تفسير الطبري ١٩: ٦. تفسير الزمخشري ٢: ٣٢٦. تفسير الخازن ٣: ٣٦٥. تفسر الرازي ٦: ٣٦٩. تفسير ابن كثير ٣: ٣١٧. تفسير القرطبي ١٣: ٢٥. الدر المنثور ٥: ٦٨.

كان عقبة ـ اللعين ـ وأبو لهب والحكم بن أبي العاص ممّن يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته[3]، فكان أحدهم يطرح على الرسول صلى الله عليه وآله رحم الشاة وهو يصلّي.

(1) انظر: سيرة ابن هشام ١: ٣٦١، ط دار المعرفة بيروت.

(2) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(3) سيرة ابن هشام ٢: ٤١٦.

وفي (طبقات) ابن سعد: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (كنت بين شرّ جارين؛ أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، وإذ كانا يأتيان بالروث فيطرحانه على بابي)[1].

هذا عقبة بن أبي معيط الذي بصق في وجه النبيّ صلى الله عليه وآله فتوعّده رسول الله صلى الله عليه وآله إن ظفر به، وقد منّ الله على رسوله أن ظفر بعدو الله في أسرى بدر، ولم يكن ممّن قبل منه الفداء، فسلّمه النبيّ إلى عليّ ليضرب عنقه ففعل، ونزلت الآيات المتقدمة في حقّه. هذا شأن عقبة بن أبي معيط.

أمّا الوليد بن عقبة فهو الوليد الفاسق، كان على سرّ أبيه في العداء والفجور والكفر، وأسلم كرهاً، وبطن البغضاء والعداوة للإمام عليّ عليه السلام قاتل أبيه. وفي الوليد نزلت الآية الكريمة[2]: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[3]. وفي حق الوليد أيضاً نزلت الآية: ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا﴾[4].

فسق الوليد بن عقبة:

روى أبو الفرج الأصبهاني بسنده عن قتادة الدوسي في قوله

(١) طبقات ابن سعد ١: ١٨٦، ط مصر.
(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٦٢. أسد الغابة لابن الأثير الأثير ٥: ٩٠.
(٣) السجدة: ١٨.
(٤) الحجرات: ٦.

تعالى: ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأ...﴾، قال: هذا ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بني المصطلق مصدّقاً، فلمّا رأوه أقبلوا نحوه فهابهم، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره أنّهم قد ارتدّوا عن الإسلام، فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجل، فانطلق حتّى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلمّا جاؤوه أخبروه بأنّهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلمّا أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره[1].

وبسند عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة طعناً. فقال لـه عليّ عليه السلام: اسكت فإنّما أنت فاسق، فنزل القرآن: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[2][3].

وروى أبو الفرج بسنده عن أبي مريم الثقفي عن عليّ عليه السلام: إن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تشتكي الوليد، وقالت: إنّه يضربها؛ فقال لها: ارجعي وقولي: إنّ رسول الله قد أجارني، فانطلقت فمكثت ساعةً ثمّ رجعت فقالت: ما أقلع عنيّ، فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله هدبة من ثوبه ثمّ قال: امضي بهذا ثمّ قولي: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أجارني،

(١) الأغاني ٥: ١٤١.
(٢) السجدة: ١٨.
(٣) الأغاني ٥: ١٤٠.

فانطلقت فمكثت ساعةً ثمّ رجعت فقالت: يا رسول الله، ما زادني إلاّ ضرباً، فرفع يديه ﷺ وقال: اللّهم عليك الوليد، مرّتين أو ثلاثاً[1].

وروى أبو الفرج بسنده عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه، قال: لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلاّ العبّاس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاصي والوليد بن عقبة، فأقبل الوليد يوماً فجلس، ثمّ أقبل الحكم فلمّا رآه عثمان زحل لـه عن مجلسه، فلمّا قام الحكم قال لـه الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تلجلج في صدري بيتان حين رأيتك آثرت عمّك على ابن أمّك.

فقال لـه عثمان: إنّه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟

قال: قلت:

رأيت لعمّ المرء زلفى قرابةٍ   دوين أخيه حادثاً لم يكن قدما

فأمّلت عمراً أن يشبّ وخالداً   لكي يدعواني يوم نائبةٍ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان.

قال: فرقّ لـه عثمان وقال لـه: قد ولّيتك العراق يعني الكوفة.

ولمّا ولّى عثمان الوليد بن عقبة الكوفة، قدمها وعليها سعد بن أبي وقّاص، فأخبر بقدومه، فقال: وما صنع؟

قال: وقف في السوق فهو يحدّث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً

(1) الأغاني ٥: ١٤١.

من شأنه، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن لـه، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه، فقال لـه سعد ما أقدمك أبا وهب؟ قال: أحببت زيارتك. قال: وعلى ذلك، أجئت بريداً؟

قال: أنا أرزن من ذلك، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة، فمكث طويلاً ثمّ قال: لا والله، ما أدري أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك! ثمّ قال:

خذيني فجرّيني جهاراً وأنشدي   بلحم أمرىءٍ لم يشهد اليوم ناصره

فقال: أما والله لأنا أقول للشعر وأروى لـه منك، ولو شئت لأجبتك، ولكنّي أدع ذلك لما تعلم. نعم، والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر في إمر عمّالك، ثمّ بعث الى عمّاله فحبسهم وضيّق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم.

فقال: لـه أو للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله. فخلّى سبيلهم. قال العوّام بن حوشب: إنّه لمّا قدم على سعد قال لـه سعد: ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك؟ فقال: لا تجزعنّ أبا إسحاق، فإنّما هو الملك يتغذّاه قوم ويتعشاه آخرون. فقال لـه سعد: أراكم والله ستجعلونه ملكاً[1].

هذا هو الوليد الذي نزل فيه قرآن، وقد ولاّه عثمان ابتداءً

(1) الأغاني ٥: ١٢٤.

صدقات بني تغلب، ثمّ يولّيه أكبر مصر في العالم الإسلامي، ألا وهي الكوفة، فيكون أميراً وحاكماً وإليه تجبى الأموال من شرق البلاد وغربها، وإماماً يقتدى به في الصلاة، وإليه يرجع الناس في فتاواهم وأمورهم الدينية والدنيوية.

جرائم الوليد بن عقبة

وهي كثيرة نذكر منها:

١ـ انّه سلب بيت مال المسلمين في الكوفة مرّات عديده، أوّلها أخذ منه مائة ألف دينار، فيعترضه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود القائم على بيت مال الكوفة، ويصرخ بالمسلمين ويذهب إلى عثمان في المدينة فيشتكي عنده.

ولكن ليس لـه إذن صاغية، بل يرى عثمان أنّ هذا تحدّياً وتجاوزاً على شرف بيت آل معيط وآل أمية، وعلى ابن مسعود أن يؤدّب؛ لأنه تجاوز حدود السلطة، بل إنّ توبيخه وتعنيفه بات أمراً مسلّماً من الخليفة، فقال لـه: وما أنت والمطالبة؟! وهل أنت إلاّ خازن لنا؟!

فما كان من الصحابي عبد الله بن مسعود إلاّ أن يطرح المفاتيح قائلاً: كنت أظن أنّي خازن للمسلمين، وأمّا أنا خازن لآل أميّة وآل بني معيط فلا حاجة لي إلى ذلك[١].

(١) العقد الفريد ٢: ٢٧٢. الأنساب للبلاذري ٥: ٣٠.

٢ـ من جرائم الوليد أنّه تجاهر بشرب الخمر بكرة وقبل صلاة الصبح، ثمّ أتى مسجد الكوفة وأمّ المسلمين وصلّى بهم والخمر تفوح من فمه وتدور برأسه، وقد صلّى بهم الصبح أربعاً، وتلا عليهم في القنوت هذا البيت:

ملـك القلـب الربابـا　　　بعـد مـا شـابت وشـابا

حتّى إذا فرغ من صلاته خاطبهم: هل أزيدكم؟

ثمّ تقيأ في المحراب، ممّا حمل عليه المسلمون يرمونه بالحصا، فلم يجد بداً من الفرار حتّى هرع فارّاً والحصباء تلاحقه إلى بيته.

في ذلك يقول الحطيئة الشاعر جرول بن أوس العبسي:

تكلّـم في الـصلاة وزاد فيهـا　　　علانيـةً وجـاهر بالنفـاق

ومجّ الخمـر في سـنن المـصلّى　　　ونـادى والجميـع إلى افـتراق

أزيـدكم عـلى أن تحمـدوني　　　فـما لـكم ومالي من خلاقي[١]

وذكر بعض المؤرخين أنّه كان يقول الوليد في ركوعه ذاك وسجوده: اشرب واسقني[٢].

ونقل بعضهم أنّه قال: أزيدكم؟ بعد أن صلّى صلاة الصبح أربعاً، فقال لـه ابن مسعود: لا زادك الله خيراً ولا من بعثك إلينا.

(١) الأغاني ٥: ١٢٥.
(٢) تاريخ أبي الفداء: ١٧٦.

وأخذ فردة خفّه وضرب به وجه الوليد، وحصبه الناس فهرب وهو مترنح إلى القصر والحصباء تأخذه.

وفي هذا نقرأ الأبيات الآتية للحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه   أنّ الوليد أحق بالغدر
نادى وقد نفدت صلاتهم   أأزيدكم ثملا وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا   منه لزادهم على عشر
فأبوا أبا وهبٍ ولو فعلوا   لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك أن جريت ولو   خلّوا عنانك لم تزل تجري

أمّا المسلمون فيستشيطوا غضباً، فتقدم الوفود إلى المدينة شاكية تطلب من عثمان عزل واليه ابن عقبة، غير أنّ عثمان يضرب الشكاة وينكّل بالشهود، فتعلو الصرخات من كلّ زاوية، بل وحتّى زوجات النبي والصحابة الذين هم إلى عثمان أقرب قد اعترضوا على عثمان أشدّ الاعتراض، فهذا طلحة والزبير وعائشة وغيرهم يواجهون الخليفة بشدّة كي يعاقب الوليد، فيضطر إلى عزله... لكن يحاول أن يصرف عنه الحد، إلاّ أنّ الصحابة ـ وفي مقدّمتهم الإمام علي عليه السلام ـ يصرّون على إقامة الحد على الوليد، ولم يتصدّ لهذا إلاّ أمير المؤمنين علي عليه السلام [1].

(١) انظر: تفصيل الحادثة في العقد الفريد ٢: ٢٧٣. الأغاني ٥: ١٢٥. فتح الباري ٧: ٤٤. مسند أحمد ١: ١٤٤. سنن البيهقي ٨: ٣١٨. تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٢.

قال أبو الفرج: أخبرني محمّد بن خلف وكيع، قال: قال حمّاد بن إسحاق: حدّثني أبي قال: ذكر أبو عبيدة وهشام بن الكلبي والأصمعي، قالوا: كان الوليد ابن عقبة زانياً شرّيب خمر، فشرب الخمر وقام ليصلّي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثمّ التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟

وتقيّأ في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته: علق القلب الرّبابا.

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان، فأخبروه وشهدوا عليه بشربه الخمر، فأتي به فأمر رجلاً بضربه الحدّ، فلمّا دنا منه قال له: نشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه. فخاف عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يعطّل الحدّ، فقام إليه فحدّه، فقال له الوليد: نشدتك بالله وبالقرابة، قال له عليّ: اسكت أبا وهب، فإنّما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود، فضربه وقال: لتدعونّي قريش بعد هذا جلاّدها [1].

فهل ينتهي عثمان عن محاباة الوليد؟ كلاّ، فإنّ الرحم والعصبية الجاهلية فوق كلّ شيء عند الخليفة عثمان، فبعد هذا كلّه يستعمله على صدقات كلب وبلقين، وكأن الإسلام خلا من الصحابة الغيارى والمؤمنين الأمناء غير هذا الفاجر فيستعمله على الصدقات!

وفي الوليد بن عقبة ـ لمّا تشاجر مع علي عليه السلام نزلت فيه الآيات

(١) الأغاني ٥: ١٢٦.

تصرح بفسقه وإيمان علي عليه السلام ـ أنشد حسان بن ثابت شعراً قال فيه:

أنـزل الله والكتـاب عزيـز ... في علـيّ وفي الوليـد قرانـا

فتبـوّا الوليـد إذ ذاك فـسقاً ... وعـلي مبـوّأً إيمانـا

ليس من كان مؤمناً عمرك الـ ... ـله كمـن كـان فاسقاً خوّانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعـلي إلى الحساب عيانـا

فعـلي يجزى بـذاك جنانـاً ... ووليـد يجزى بـذاك هوانـا

وربّ جـدٍ لعقبة بـن أبـان ... لا بـسٌ في بلادنـا تبّانـا

النموذج الثاني: من ولاة عثمان أخوه من الرضاعة:

ولّى أخاه ابن أبي سرح الفاسق المرتد مصراً، وهو عبد الله بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة، ارضعتهما الأشعرية فكان السبب في قربه إلى عثمان.

نشأ هذا نشأة أموية، فهو في خلقه وسلوكه وسيرته وعدائه للنبي وللإسلام ولأهل البيت لا يختلف قيد أنملة عن آل أبي معيط وبني أمية.

سيرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

١ ـ أسلم قبل الفتح.

٢ ـ هاجر إلى المدينة.

٣ ـ ارتدّ وعاد إلى أحضان الشرك في زمن النبي صلى الله عليه وآله.

٤ ـ عاد إلى مكة وهو أشد بغضاً وعداءً على الإسلام ونبيه الأكرم.

٥ ـ افترى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى المسلمين.

٦ ـ أهدر النبيّ صلى الله عليه وآله دمه ـ لمّا فتح مكة ـ ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.

٧ ـ نزلت في هذا اللعين آيات من الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيءٌ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾[1].

أجمعت المصادر التاريخية وكتب التفاسير على أنّ هذه الآية نزلت في شأن (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) لّما كانت لـه من سابقة الكفر ثمّ إسلامه ثمّ ارتداده وافتراءاته على الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

انظر: تفسير الرازي ٤: ٩٦. تفسير القرطبي ٧: ٤٠. تفسير البيضاوي ١: ٣٩١. تفسير الخازن ٢: ٣٧. تفسير الزمخشري ١: ٤٦١. تفسير الشوكاني ٢: ٣٣. تفسير النسفي على هامش تفسير الخازن ٢: ٣٧.

انظر إلى هذا المرتد الكافر الذي نزل فيه قرآن وقد هدر النبي دمه، غير أنّ عثمان ـ أخاه في الرضاعة ـ يستأمنه ويستوهبه من النبي، والنبي لم يجبه حتّى كرّر ذلك مرّات عديدة، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله ينتظر من

---

(١) الأنعام: ٩٣.

يقوم إليه فيقتله، لكن جبن الذين من حواليه حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما صمتّ كي تكون الحجّة لمن ينفذ أمري في هدر دمه قبل ائتمانه»، فقال رجل من الأنصار: لو أومأت إليّ يا رسول الله، فقال: «إنّ النبيّ لا ينبغي أن تكون لـه خائنة الأعين».

وعليك بالتفصيل من مصادر القوم: أنساب البلاذري ٥: ٤٩. سنن أبي داود ٢: ٢٢٠. الاستيعاب: لابن عبد البر ١: ٣٨١. أسد الغابة ٣: ١٧٣. تفسير الشوكاني ٢: ١٣٤. الإصابة ٢: ٣١٧.

ولم يكتف ابن عفّان بهذا المقدار من جرائم هذا الفاسق المرتد، بل يدنيه ويقرّبه فيولّيه ثغراً من ثغور المسلمين وهو مصر أفريقيا العظيمة، ويقدّم لـه في ما قدّمه من الهدايا والمنح الكثيرة وجميع الصدقات والزكوات وما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا من مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب دون أن يشاركه أحد، بل هي طعمة سائغة قدّمها عثمان لأخيه المرتد، وهي تربو على خمسمائة ألف دينار، ويحرم من هذه الأموال العظيمة كافة الفقراء والمساكين ومن لـه حق فيها!

وإذا جاءه معترض ليعترض قال لـه: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه عمّن شئت رغم أنف من أبى واعترض[1].

---

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٢٦. تاريخ ابن كثير ٧: ١٥٢. شرح نهج البلاغة ١: ٦٧. وأسد الغابة لابن الأثير الأثير ٣: ١٧٣.

كان هذا التصرّف السمج والتلاعب بأموال المسلمين من الأسباب المهمة في نقمة أهل مصر على ابن أبي سرح وعثمان الذي ولاّه، فلم يجد أهل مصر مخرجاً من هذا المأزق إلاّ الشكوى لعلّها تصلح من شأن تلك الأوضاع الفاسدة، فجاؤوا إلى عثمان يشكونه ممّا فرّط به ابن أبي سرح، فأرسل عثمان كتاباً إلى واليه ظاهره فيه التوبيخ، ولكن سرعان ما ألحقه بكتاب خلاف ذلك ينشد فيه التعذيب والتنكيل بأولئك النفر الذين قدموا إلى المدينة يحملون شكوى أخوانهم المصريين إلى عثمان.

وتكرّرت هذه الحالة، وفي المرة الأخيرة أخذ ابن أبي سرح الشكاة فأوسعهم ضرباً وتنكيلاً، ونال بعضهم حتفه على يد هذا الفاسق، ممّا توجّه عدد غفير من الشكاة يربو عددهم على السبعمائة شخص إلى عثمان والصحابة في المدينة وأرغموا عثمان على عزل واليه وإلاّ يقتل.

هذا يسير من كثير في محاباة عثمان لبني أميّة واستعمال الفسقة منهم.

ثانيا: اقتطاع أموال بيت المسلمين لأقربائه:

السبب الثاني في الإجهاز على عثمان وقتله على يد المسلمين هو تلاعبه بالأموال والصدقات وما يرد عليه من الفيء وتقسيمه بين بطانته وأبناء عمومته والمقرّبين لـه من بني أميّة وآل معيط، نذكر منهم عدة نماذج:

النموذج الأول: الحكم بن أبي العاص:

الحكم هو عمّ عثمان، كان من ألد أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله في مكة قبل الهجرة، وكان أحد الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله، وممّن يعيبه ويستهزئ منه ويغمزه، حتّى دعى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله مرة حينما كان يغمزه، وقال صلى الله عليه وآله: «اللّهم اجعل به وزعاً»، فرجف مكانه وارتعش وظلت هذه الرعشة معه إلى آخر يوم من حياته.

قدم المدينة بعد فتح مكة واستمر في غمزه للنبيّ صلى الله عليه وآله، وقد هدّده النبيّ على سلوكه ذلك فلم يمتنع حتّى قال صلى الله عليه وآله: «من عذيري من هذا الوزغ اللعين». ونفاه وولده جميعاً إلى الطائف.

كان يتظاهر بالإسلام ويبطن الكفر والفسق والنفاق، ويحاول أن يلعب دوراً مع المشركين والمنافقين للوقيعة بالإسلام، ولطالما كاد للإسلام وللنبيّ صلى الله عليه وآله، وما كان ذلك ليخفى على النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى لعنه وطرده ونفاه إلى الطائف مع ولده.

انظر: اسد الغابة لابن الأثير الأثير ٢: ٣٤، وفي الأنساب للبلاذري ٥: ٢٧ ورد أنّ الحكم كان يؤذي النبي في مكة وهو أحد جيرانه.

أمّا اللعن: ورد لعن الحكم وولده على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله في مصادر عديدة، منها: المستدرك للحاكم النيسابوري ٤: ٤٨١، وجاء فيه: أنّ رسول الله لعن الحكم وولده. وفي كنز العمال للمتقي الهندي ٦:٩٠ ورد فيه: عن عبدالله بن الزبير، شهد أنّ الرسول لعن الحكم وما

ولد.

وممن أكّد لعن النبيّ للحكم وولده جملة من أصحاب التفاسير والسير.

انظر: تفسير القرطبي ١٦: ١٩٧. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٥. نهاية ابن الأثير٣: ٢٣. اسد الغابة ٢: ٣٤. تفسير الكشّاف للزمخشري ٣: ٩٩. تفسير الرازي ٧: ٤٩١.

وممّن روى اللعن: ابن حجر في تطهير الجنان على هامش الصواعق ص ١٤٤، عن عمرو بن مرّة، قال: استأذن الحكم على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرف صوته، فقال: «إئذنوا لـه، لعنه الله ومن يخرج من صلبه إلاّ المؤمنين منهم وقليل ما هم، ذو مكر وخديعة، يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق».

أخرجه البلاذري في الأنساب ٥: ١٥٦، ونقله في السيرة الحلبية عن الواقدي ١: ٣٣٧.

وفي الحكم قالت عائشة لمروان: سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدّك أبي العاص بن أمية: «إنكم الشجرة الملعونة في القرآن».

تفسير الآلوسي ١٥: ١٠٧. تفسير الشوكاني ٢: ٢٣١. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. الدر المنثور للسيوطي ٤: ١٩١.

وفي تفسر القرطبي ١٠: ٢٨٦: أنّ عائشة قالت لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، وأنت بعض من لعنه الله، ثمّ اردفت قائلة: والشجرة الملعونة في القرآن.

النموذج الثاني: عطايا عثمان لمروان:

اتّضح قبل قليل أنّ مروان كان أحد الملعونين على لسان النبيّ ﷺ، فهو ابن الحكم بن أبي العاص، وهو طريد رسول الله ﷺ.

لكن العجب من عثمان أن يطلب من النبيّ ﷺ أن يشفع له! فأبى رسول الله ﷺ واستمر على طلبه ذاك من أبي بكر وعمر فرفضا طلبه.

وإذا بعثمان في خلافته يتعدّى كلّ هذه الحدود غير آبه بالقرآن الكريم، ولا بالسنة، ولا بسيرة الشيخين، إذ يستجيب للعصبيّة القبلية فيأتي بعمّه الحكم بن أبي العاص وبنيه الذين لعنهم رسول الله ﷺ وطردهم من المدينة، بل وقدّم لهم الأموال وسلّطهم على رقاب المسلمين، وقدّم ابنته زوجة لألد خصوم الإسلام، الطريد ابن الطريد مروان بن الحكم.

من هبات عثمان لابن عمه مروان:

١ ـ أقطع فدكاً لمروان بن الحكم، وكانت فدك صدقة رسول الله ﷺ منحها لابنته فاطمة (عليها السلام). انظر: كتاب المعارف لابن قتيبة، ص ٨٤. تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٨.

٢ ـ أخرج ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢: ٢٦١: وافتتح عثمان أفريقيا وأخذ خمسها ووهبه لمروان. وانظر: شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٧.

٣ ـ وهب صدقات أفريقيا وما جبي له من الفيء والزكوات إلى مروان بن الحكم.

٤ ـ إعطاؤه استحقاق قضاعة كلها لمروان.

موقف مروان في يوم الجمل:

عن أبي مخنف، لمّا تضعضع أهل الجمل قال مروان: لا أطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم، فانتحى له بسهم فأصاب ساقه، فقطع أكحله، فجعل الدم يبضّ، فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: أما من مكان أقدر فيه على النزول، فقد قتلني الدم، فقال له مولاه: انج وإلاّ لحقك القوم، فقال: بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتّى انتهى إلى دارٍ من دور البصرة فنزلها ومات بها.

ولا تعجب في مصرع طلحة أنّه أخذ بدعاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال (عليه السلام): في خطبته يوم الجمل: واعجباً لطلحة، ألبَ الناس على ابن عفان حتّى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعاً ثمّ نكث بيعته، اللّهم خذه ولا تمهله... [1].

النموذج الثالث: هبات عثمان لسعد بن أبي وقاص:

كان سعد بن أبي وقاص والي عمر بن الخطّاب على الكوفة إذ هو

(١) سفينة البحار ٥: ٣٢٥.

الذي مصّرها، وهو أحد أعضاء الشورى الستة، وصهر عبد الرحمن بن عوف. أثرى سعد من الأموال والإبل ما لا يعدّ، يقول فيه صاحب (الطبقات) ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألفاً من النقود. وأشاد المسعودي بداره بالعقيق.

روى سعد بن أبي وقاص وأبناؤه عن أبيهم حديث المنزلة، بل روى في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة، وهذا يعني أنّ سعداً كان يعرف مكانة الإمام علي عليه السلام عند الله وعند رسوله، وما له من سابقة في الإسلام ومناقب ما لا يمكن إحصاؤها، ومع ذلك كان منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام سواء في سقيفة بني ساعدة أو يوم الشورى، أو عند بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان. وهو الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة أمام الناس: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟

فأجابه عليه السلام: أنّ تحت كلّ شعرة شيطاناً.

وسعد هذا الذي روى عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله لعلي عليه السلام: ثلاث فضائل: حديث المنزلة، والراية، والمباهلة ثم قال سعد: فلئن يكون لي منهن أحبّ إليّ من حمر النعم.

ذكر مسلم: أنّ معاوية أمر سعد بن أبي وقاص أن يسبّ علياً ـ أبا تراب ـ فذكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى»، وقوله صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله»، وقوله تعالى: ﴿... ندع أبناءنا وأبناءكم﴾.

كلّ هذه الفضائل وغيرها يرويها سعد بن أبي وقاص، ولكنه اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبايعه.

النموذج الرابع: هبات عثمان للزبير:

كان الزبير زوج أسماء بنت أبي بكر، وله حظوة عند عائشة؛ لأنّها أخت زوجته والحانية على أولاده كعبد الله، حيث استطاعت عائشة أن تغذّيه البغض لعلي عليه السلام فجعلته مثلها من ألد الخصوم.

والزبير بن صفية بنت عبد المطلب وكان مع عليّ في يوم الشورى، ثمّ انقلب عليه وركن إلى عثمان لهباته وعطاياه ثمّ غدر به، فكان هو وطلحة من المؤلّبين على عثمان حتّى قتل، ثمّ كانا في مقدّمة الذين بايعوا علياً بالخلافة لكنّهما نكثا بيعته وجهّزا الجيوش لحربه، فكانت واقعة الجمل.

إنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام دعا الزبير يوم البصرة وذكّره بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال له: «تحاربه وأنت له ظالم... »، فيتذكر الزبير ويترك الحرب، فيعود ابنه ـ ربيب عائشة في سلوكه وعنصره ـ عبد الله يعيّره بأنّه إنّما خاف علياً.

إنّه الزبير ابن عمة عليّ، وعلي ابن خال الزبير، ترى كيف عاقبة كلّ منهما؟!

هذا الزبير استحوذ على أموال وفيرة وعطايا جمة ابتزّها من بيت مال المسلمين، وهبها له عثمان، لكن ليس من ماله الخاص بل هي

أموال الفقراء والمساكين من المسلمين، حتى بلغت نقوده عشرات الملايين، ودوره العشرات، وضياعه هنا وهناك في شرق البلاد وغربها.

قال البخاري: كان عنده ـ الزبير ـ من المال خمسون ألف ألف ومائتا ألف، أي خمسون مليوناً ومائتا ألف.

وجاء في كتاب الجهاد: خلّف إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر[1].

وفي (شرح البخاري) و(فتح الباري)، و(إرشاد الساري)، و(عمدة القارىء): أنّ الصواب إنّ ما يملكه الزبير من المال كان تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف[2].

وأضاف ابن سعد في طبقاته: كان يملك الزبير في مصر بالإسكندرية وفي الكوفة في كلّ منهما خططاً، وله دور في البصرة، وله ضياع تفيض عليه الغلاة في اعراض المدينة[3].

وأخرج المسعودي: أنّ الزبير خلّف ألف فرس، وألف عبد، وألف أمة، وخططاً[4].

وهل اكتفى الزبير بهذا المال الوفير؟ كلا، بل كان يتمنّى الولاية والتسلط على رقاب الناس. فهل يروق للزبير أن يسمع كلام

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٢١.

(٢) شذرات الذهب ١: ٤٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٣: ٧٧.

(٤) مروج الذهب ١: ٤٣٤.

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لمّا ولي الخلافة، حيث قال: «إنّ من ابتز مالاً من بيت مال المسلمين أو منحه إياه عثمان أكثر من حقّه عليه أن يعيده ويحاسب عليه».

لهذا نرى الزبير يتّفق مع طلحة فينكثان البيعة، ويخرجان على حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ويؤلّبان الناس على وصي رسول الله وخليفته بالحق.

فكانت حرب الجمل، وقد أصبح فيها الزبير مدجّجاً بالسلاح، فناداه أمير المؤمنين: «يا زبير، أخرج إليّ»، فخرج شاكّاً في سلاحه، فقال لـه علي عليه السلام : «ويحك يا زبير، ما الذي أخرجك؟». قال: دم عثمان.

قال عليه السلام : «قتل الله أولانا بدم عثمان، أمّا تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضحكت أنت معه فقلت أنت: يا رسول الله، ما يدع عليّ زهوه. فقال لك: ليس به زهو، أتحبّه يا زبير؟ فقلت: إنّي والله لأحبّه. فقال لك: إنّك والله ستقاتله وأنت لـه ظالم؟».

فقال الزبير: استغفر الله، لو ذكرتها ما خرجت. فقال عليه السلام : «يا زبير، ارجع». فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان، هذا والله العار الذي لا يغسل. فقال عليه السلام : «ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار». فرجع الزبير قائلاً:

اخترت عاراً على نار مؤججة ... ما إن يقوم لها خلقٌ من الطين

إلى آخر الأبيات.

فقال ابنه عبد الله: أين تدعنا؟ فقال يا بني: أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته. فقال: لا والله، ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنّها طوال حداد تحملها فتية أنجاد.

قال: لا والله، ولكنّي ذكرت ما أنسانيه الدهر، أباالجبن تعيّرني لا أبا لك، ثمّ أمال سنانه وشدّ في الميمنة، فقال علي عليه السلام: «افرجوا له»، ثمّ رجع فشدّ في الميسرة، ثمّ رجع فشدّ في القلب، ثمّ عاد إلى ابنه فقال: أيفعل هذا جبان؟

ثمّ مضى منصرفاً حتّى أتى وادي السباع والأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم، فلحق الزبير نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير إلى الصلاة، فقال: أتؤمّني أو أؤمّك؟

فأمّه الزبير، فقتله عمرو في الصلاة، وكان له من العمر خمس وسبعون سنة.

أقول: وعاقبة الزبير كانت على إثر دعاء أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال فيه: «وإن الزبير نكث بيعتي وقطع رحمي وظاهر على عدوّي فاكفنيه اليوم بما شئت» [1].

---

(١) سفينة البحار ٥: ٣٢٥ ط، دار الأسوة قم.

النموذج الخامس: هبات عثمان لطلحة:

هو طلحة بن عبيد الله التيمي، ابن عم عائشة بنت أبي بكر وأقرب الناس إليها.

كانت رغبة عائشة في طلحة أن يتم أمر الخلافة إليه بعد عمر، وقد عاضدته على الانتقام من عثمان، فجاء تأليبها للإطاحة بحكمه والثورة عليه حتّى قتل.

وقد حاول طلحة أن يستولي على بيت مال المسلمين في المدينة وعثمان في الحصار حتّى توسّل عثمان بعلي، فقال: إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي. فجاء عليّ وفتح بيت المال وقسّمه على مستحقّيه.

وفي طلحة يقول عثمان حينما كان يحرّض على قتله وهو محاصر في بيته: ويلي على ابن الحضرمية ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحرّض على قتلي.

عن البلاذري: أنّ عثمان أوصل طلحة مائتي ألف دينار. وأخرج ابن الجوزي: أنّ طلحة خلّف ثلاثمائة جمل ذهباً، وكان لطلحة ما لا يحصى من الدور والضياع في مختلف البلاد. وقال ابن عبد ربّه: إنّهم وجدوا في تركة طلحة ثلاثمائة بهار من ذهب وفضة.

وقد ورد عن سفيان بن عيينة وإبراهيم بن محمّد بن طلحة وسعدى أم يحيى ابن طلحة عمّا تركه طلحة من النقود من الذهب والفضة ما يفوق الملايين.

انظر تفصيل هذا وغيره في: أنساب البلاذري ٥: ٧. مروج الذهب ١: ٤٣٤. العقد الفريد ٢: ٢٧٩. طبقات ابن سعد ٣: ١٥٨، ط ليدن. الرياض النضرة ٢: ٢٥٨.

روي أنّه لمّا كتب أبو بكر وصيّته في عمر وأرسلها بيد رجلين ليقرآها على الناس، قالا للناس: هذا ما كتبه أبو بكر، فإن قبلتموه نقرأه وإلاّ نردّه. فقال طلحة: اقرآه وإن كان فيه عمر. فقال له عمر: من أين عرفت ذكري فيه؟

فقال طلحة: ولّيته بالأمس وولاّك اليوم[1]!

النموذج السادس: هبات عثمان للحارث بن الحكم:

الحارث بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان، وهو وأبوه وأخوته كانوا مطرودين من قبل النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف، وهو من تلك الشجرة الملعونة.

عاد من الطائف إلى المدينة مع أبيه وأصبح صهراً لعثمان على ابنته عائشة، ونال من عطاياه ما كان لجميع المسلمين الحق فيه. وهب له عثمان من بيت مال المسلمين ثلاثمائة ألف درهم. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٥٢. ووهب له إبل الصدقات، وهي حقوق المسلمين من الفقراء والمساكين كما في الأنساب للبلاذري ٥: ٢٨.

ووهب له ما تصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله من سوق جهروز على

(١) شرح المقاصد ٢: ٢١٥.

كافة المسلمين كما في (المعارف) لابن قتيبة ص ٨٤، وشرح ابن أبي الحديد ١: ٦٧، ومحاضرات الراغب ٢: ٢١٢.

النموذج السابع: هبات عثمان لعبد الله بن خالد الأموي:

عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، وهو صهر عثمان على ابنته. كتب له عثمان بستمائة ألف درهم يأخذها من مال المسلمين، وكان على بيت المال عبد الله بن عامر خازنه في البصرة[1].

وقيل: إنّ عبد الله بن خالد قدم على عثمان ومعه ناس غزاة، فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف درهم، ولكل رجل ممّن معه بمائة ألف درهم بصك إلى خازن بيت المال في المدينة وهو عبد الله بن الأرقم، فأبى هذا إعطاءهم ذلك من بيت المال واستكثر المبلغ لهم وامتنع أن يدفع لهم المال، فوبّخه عثمان بقوله: فما منع أن تدفع ذلك لهم، وما أنت إلا خازن لنا؟

فأجابه ابن الأرقم: إنّما كنت أحسب نفسي خازناً للمسلمين لا خازنك أنت، وما خازنك سوى غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبداً، وأتى بالمفاتيح وعلّقها على المنبر.

وقيل: أوكل بيت المال إلى معيقيب بن فاطمة وبعث إلى ابن الأرقم بثلاثمائة ألف درهم فأبى أخذها[2].

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٥.

(٢) الأنساب للبلاذري ٥: ٥٨.

النموذج الثامن: عبد الرحمن بن عوف الزهري واستحواذه على المال:

كان عبد الرحمن الزهري صهر عثمان، وهو أحد الستة من الشورى، والذي هدّد علياً بالقتل إن لم يبايع لعثمان، وهو الذي أشار إليه عمر بن الخطّاب قبل موته، قال: إذا اجتمع ثلاثة وخالف ثلاثة فالخليفة من كان فيه رأي عبد الرحمن. وهو الذي صفق على يدي عثمان وخاطبه: السلام عليك يا أمير المؤمنين. إنّه كان مبغضاً للإمام عليّ عليه السلام، وهكذا صهره سعد بن أبي وقاص. اقتنى عبد الرحمن الزهري أموالاً طائلة فأثرى ثراءً واسعاً، فكان لـه من الإبل والغنائم والخيل والأراضي والذهب والفضة ما لا يطيق أحد عدّها أو إحصاءها.

قال اليعقوبي: إنّه طلّق إحدى نساءه الأربع، وبعد موته ادّعته بالإرث فورّثها عثمان من ربع الثمن ما يساوي مائة ألف دينار، وهذا يعني أنّه كان يملك من النقد فقط ما يناهز ثلاثة ملايين دينار.

وقال المسعودي: إنّ عبد الرحمن ابتنى داراً ووسعها، وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً[1].

---

(١) انظر: مروج الذهب ١: ٤٣٤. تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٦. الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ٢: ٢٩١. صفوة الصفوة لابن الجوري ١: ١٣٨. طبقات ابن سعد ٣: ٩٦.

عرفت في ما سبق كيف حابى عبد الرحمن الخليفة عثمان وما ذاك إلاّ للسببين:

الأول: البغض لعلي عليه السلام وبني هاشم.

الثاني: الطمع بعرض الدنيا وما يقدّمه عثمان لـه ولصهره سعد بن أبي وقاص من العطاء الجزيل والهبات، حتّى قيل: إنّ الذهب الذي تجمّع عند عبد الرحمن بعد مماته كان يكسّر بالفؤوس.

بل إنّه كان يحابيه اليوم طمعاً أن يحابيه عثمان بالخلافة، لكن سبحان الله، لم تدم هذه المحاباة حتّى كانت بينهما البغضاء والخشونة والاعتراض والنقد، حتّى تعكّر الصفو بين عبد الرحمن وعثمان، فكان كلّما عاد إلى عثمان بلائمة غضب عليه وإذا به يتّهمه بالنفاق، وإذا به يطرده، وإذا به يمنع التحدث إليه، ويهجره.

ثمّ تصير الأمور أن يأتي عبد الرحمن إلى الإمام عليّ فيطلب منه أن يجرّد سيفه، وهو أول تابع لـه على عثمان. ولكن هيهات هيهات، فقد وصل السيل الزبى.

وقد أصبح عبد الرحمن أكثر ندماً لّما نفي أبو ذر إلى الربذة وقد مات هناك وحيداً غريباً، فتذاكر مع عليّ في فعل عثمان، فقال لـه عليّ عليه السلام: هذا عملك، فيجيبه عبد الرحمن: إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنّه خالف ما أعطاني...

قال الواقدي: ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أشدّ على عثمان من عبد الرحمن بن عوف حتّى مات، ومن سعد بن أبي وقاص حتّى مات عثمان.

وروي أنّه ضجّ الناس يوماً حين صلّوا الفجر في خلافة عثمان، فنادوا بعبد الرحمن بن عوف فحوّل وجهه إليهم واستدبر القبلة ثمّ خلع قميصه من جيبه، فقال: يا معشر أصحاب محمّد، يا معشر المسلمين، اشهد الله واشهدكم أنّي قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا.

فأجابه مجيب من الصف الأوّل: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ [1]. فنظروا من الرجل فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

تركة عثمان بن عفان:

لنختتم هذه الأرقام من سيرة بني أميّة بزعيم القوم عثمان بن عفان، تقول المصادر: يوم قتل عثمان خلّف ضياعاً كثيرة ودوراً وحليّاً وأبنية ونقوداً ـ من الذهب والفضة ـ والإبل والمواشي والإماء والمماليك ما لا يعدّ!!

وقد نقل أنّ ما نهب من أمواله التي كانت عند خازنه ثلاثون ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، وألف بعير، وما يساوي من الصدقات في براديس وخيبر ووادي القرى بقيمة مائتي ألف دينار، وكان لـه ألف مملوك.

(1) يونس: 91.

وقد عرفت الهبات والعطايا التي منحها لقومه، فقد بلغ ما أعطاه لخمسة عشر نفراً فقط: أربعة ملايين ونصف المليون دينار ومائة وسبعة عشر مليون درهماً، فهي بعض النقود التي اقتطعها من بيت مال المسلمين ثمّ وهبها للحكم وأولاده، وابن أبي سرح، وأبي سفيان، والوليد، ويعلى، وزيد بن ثابت، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص.

هذا وغيره من السلب والنهب دعا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا بويع بالخلافة أن يبتدئ سيرته وعمله السياسي بقوله: «ألا إنّ كلّ قطيعة اقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء...».

كان هذا إنذاراً خطيراً لأمثال طلحة بن عبيد الله، ويعلى بن أميّة، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان، وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص، وسعيد بن العاص، والحارث بن الحكم بن أبي العاص، وأمثالهم من بني أميّة وبني أبي معيط. ثمّ بدأ عليه السلام يسترجع أموال المسلمين إلى بيت المال، غير أنّ هذه العدالة لا يرتضيها أرباب الأطماع، فجميع بني أميّة وآل معيط وجدوا أنّ الأمر يعنيهم، وهذا الخطر محدق بهم، وأنّ يد العدالة لابد من أن تلاحقهم، لذا وجدوا خير سبيل لهم هو إثارة الفتن بين الناس وشنّ الحرب على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته بالحقّ، فكانت حرب الجمل، ثمّ تبعتها حرب صفين، وأخيراً حرب النهروان، ولم يمهلوه في تطبيق تلك العدالة

المنشودة حتّى فجعوا المسلمين بقتله في ليلة القدر من سنة (٤٠ هـ).

ثالثا: تعطيل الحدود

لقد ذكرنا بعض الموارد، منها: قصة عبيد الله بن عمر ومقتل (الهرمزان)، فكان ينبغي على عثمان بن عفان أن يأخذ عبيد الله بدم الهرمزان إلاّ أنّه لم يفعل، وقد مرّ الكلام في الصفحات المتقدمة فراجع.

وأمّا الأمر الرابع[1] والخامس[2] فقد مرّت الإشارة إليهما في الصفحات السابقة فراجع.

***

(١) إهانة عثمان لكبار الصحابة.

(٢) إهانة عثمان لبعض زوجات النبيّ ﷺ كعائشة.

الفصل التاسع

قوله عليه السلام: «فما راعني الا والناس كعرف الضبع إليّ ينثالون عليّ من كلّ جانب»

في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام:

جاء في كتاب (الجمل): انّ الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد النبيّ ﷺ لينظروا من يولّونه أمرهم حتّى غصّ المسجد بأهله، فاتفق رأي عمّار وأبي الهيثم ابن التيهان ورفاعة بن رافع وسالك بن عجلان وأبي أيوب على إقعاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، وكان أشدّهم تهالكاً عليه عمّار، فقال لهم: أيّها الأنصار، قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم، وأنّ علياً عليه السلام أولى الناس بهذا الأمر؛ لفضله وسابقته.

فقالوا حينئذٍ بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين: أيّها الناس، إنّا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله، وإنّ علياً عليه السلام من قد علمتم، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه ولا أولى به.

فقال الناس بأجمعهم: قد رضينا، وهو عندنا على ما ذكرتم وأفضل.

وقاموا كلهم فأتوا علياً عليه السلام فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها، فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على ورودها حتّى كاد بعضهم يقتل بعضاً، فلمّا رأى ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس، وقال عليه السلام: «إن كرهني رجل واحد لم أدخل في هذا الأمر».

فنهض الناس معه حتّى دخل المسجد، فكان أول من بايعه طلحة. فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوّفت ألاّ يتمّ أمره؛ لأنّ أول يد بايعته شلاّء.

ثمّ بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة إلاّ محمّد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقّاص، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن سلاّم.

فأمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال: بايع. قال: لا أبايع حتّى يبايع جميع الناس. فقال له عليّ عليه السلام: فاعطني حميلاً ألاّ تبرح. قال: لا أعطيك. فقال الأشتر له عليه السلام: إنّ هذا قد أمن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه. فقال عليه السلام: لست أريد ذلك منه على كره، خلّوا سبيله، لقد كان صغيراً وهو سيء الخلق، وهو في كبره أسوء خلقا.

ثمّ أتى بسعد بن أبي وقّاص فقال له: بايع. فقال سعد: خلّني،

فإذا لم يبق غيري بايعتك، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً. فقال عليه السلام: صدق، خلّوا سبيله.

ثمّ بعث على محمّد بن مسلمة، فلمّا أتاه قال له: بايع. قال: إنّ النبيّ أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ أن أخرج بسيفي فاضرب عرض أحد، فإذا تقطع أتيت منزلي فكنت فيه لا أبرحه حتّى تأتيني يد خاطفة أو منية قاضية. فقال عليه السلام له: فانطلق إذاً فكن كما أمرت به.

ثمّ بعث إلى أسامة بن زيد فلمّا جاء قال له: بايع. فقال له: إنّي مولاك ولا خلاف منّي عليك، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس. فأمره بالانصراف. ولم يبعث إلى أحد غيرهم.

وقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام؟ فقال عليه السلام: لا حاجة لنا في من لا حاجة له فينا.

أقول: والذين تخلّفوا عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام هم: ١ـ سعد بن أبي وقّاص. ٢ـ عبد الله بن عمر. ٣ـ أسامة بن زيد. ٤ـ محمّد بن مسلمة. ٥ـ زيد بن ثابت. ٦ـ حسان بن ثابت (الشاعر). ٧ـ مروان بن الحكم بن أبي العاص. ٨ـ عبد الله بن الزبير بن العوام. ٩ـ ولد عثمان بن عفان. ١٠ـ مسلمة بن مخلد. ١١ـ سعيد بن العاص. ١٢ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط. ١٣ـ جماعة كانوا في دار عثمان يوم الحصار. ١٤ـ سفهاء بني أميّة وما أكثرهم. ١٥ـ أبو سعيد الخدري.

عن زيد بن أسلم قال: جاء طلحة والزبير إلى عليّ وهو متعوّذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا: ابسط يدك نبايعك، فإن الناس لا يرضون إلاّ بك.

فقال لهما: لا حاجة لي في ذلك، لأن أكون لكما وزيراً خير من أن أكون لكما أميراً، فليبسط من شاء منكما يده أبايعه.

فقالا: إنّ الناس لا يؤثرون غيرك، ولا يعدلون عنك إلى سواك، فابسط يدك نبايعك أول الناس، فامتنع عليهم، إلاّ بحضور الجميع في المسجد.

فقالا: بل نبايعك هاهنا ثمّ نبايعك في المسجد، فبايعاه أوّل الناس، ثمّ بايعه الناس على المنبر أوّلهم طلحة بن عبد الله وكانت يده شلاّء، فصعد المنبر فصفق على يده. ثمّ نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما[1].

في كلام لأمير المؤمنين عليه السلام يعني به الزبير: «يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يعرف وإلاّ فليدخل في ما خرج عنه» [2].

(١) انظر: أنساب الأشراف ص٢٠٥. تاريخ الطبري ٤: ٤٢٨. العقد الفريد ٤: ٣١٠. تذكرة الخواص: ٥٧. الكامل في التاريخ ٣:١٩٠. تاريخ مختصر الدول: ١٠٥. المغني ٢٠: ق٢، ص٦٦. الفتوح لابن أعثم ١٢: ٤٣٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٨.

والمقصود من العبارة هو الزبير بن العوام، وهو ابن صفيّة، وصفية عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمّة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الزبير صهراً لأبي بكر، وأسماء بنت أبي بكر كانت زوجته.

لما قتل عثمان وبايع الناس لأمير المؤمنين عليه السلام كان طلحة والزبير أوّل من بايع، وكان الإمام علي عليه السلام يقول للزبير: أني لخائف أن تغدر بي وتنكث بيعتي. قال: لا تخافن، فإنّ ذلك لا يكون منّي أبداً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فلي الله عليك بذلك راعٍ وكفيل. قال: نعم، الله لك علي راع وكفيل.

فلمّا كان بعد أيام ندم من ذلك لما حدثت نفسه بالخلافة، وكان يقول: بايعت علياً بيدي لا بقلبي، وتارة يقول: أكرهت على البيعة، وتارة يقول: واريت تورية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا إقرار منه بالبيعة، وادعاء إنّه لم يبايع بقلبه لم يقم عليه دليلاً، فأمّا أن يقيم دليلاً على ما ادّعى أو يعود إلى طاعتي؛ لأنّ من بايع لغيره لا يجوز أن يأخذ لنفسه البيعة. والزبير بايع علياً ثمّ أعرض وعرّض نفسه في معرض الخلافة وكتب إلى معاوية: (أمّا بعد، فإنّ الناس قد قتلوا عثمان وبايعوني، فإذا أتاك كتابي فبايع لي أنت وأشراف أهل الشام).

فلمّا قرأ معاوية كتب في جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية

بن أبي سفيان، سلام عليك، أما بعد، فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا، فدونك الكوفة والبصرة وبها كنوز الرجال وعين الخلافة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، وقد بايعت لطلحة بن عبد الله من بعدك، وطلحة هو ابن عم لأبي بكر، فاظهر الطلب بدم عثمان وادع الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير.

فلمّا وصل الكتاب إلى الزبير أعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا على خلاف عليّ عليه السلام بعدما بايعا لـه.

وأوّل خلافهما أن جاءا إلى عليّ عليه السلام وطلبا منه أن يولّيهما المصرين البصرة والكوفة. فقال عليه السلام: ارضيا بقسم الله تعالى لكما واعلما إنّي لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته، فدخلهما اليأس، فاستأذناه للخروج إلى مكة للعمرة.

فقال عليه السلام: ما العمرة تريدان، وإنّما تريدان الغدرة، ونكث البيعة. فحلفا لـه بالله أنّهما ما يريدان غير العمرة.

فقال لهما: أعيدا البيعة لي ثانية، فاعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق. فأذن لهما، فلمّا خرجا من عنده قال عليه السلام لمن كان حاضراً: والله لا ترونهما إلاّ في فتنة يقتتلان فيها.

قالوا: يا أمير المؤمنين، أآمر بردّهما. قال عليه السلام: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. ولمّا خرجا من المدينة لم يلقيا أحداً إلاّ وقالا لـه: ليس لعلي

في أعناقنا بيعة، وإنّما بايعناه مكرهين.

فبلغ علياً عليه السلام قولهما، فقال: أبعدهما الله وأغرب دارهما، أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم. والله لا يلقيانني بعد اليوم إلاّ في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما، فبعداً لهما وسحقاً.

فكان كما قال؛ لأنّ علياً هاجر إلى الكوفة وبايع أهل الكوفة لـه، وما مضت إلاّ أيام قلائل حتّى سارت عائشة من مكة إلى البصرة ومعها الزبير وطلحة وهم يطلبون بدم عثمان. وخرج علي عليه السلام إليهم مع أصحابه فكانت وقعة الجمل.

حرية الانتخاب:

لم يمارس المسلمون عملية الانتخاب الحرّ في تعيين الخليفة الحاكم إلاّ في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان النص على خلافته لا يشك فيه إلاّ المتخرّصون، ومع كلّ ذلك فلم يستطع المسلمون أن يدلوا بأصواتهم اتجاه الخليفة الأول والثاني والثالث، بل إنّها جاءت على رغم الأنوف.

فأمير المؤمنين عليه السلام أعاد الحريات المصادرة والمغتصبة إلى المسلمين بعد أن سلبها القوم بعيد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي مقدمة تلك الحريات:

١- حرية الرأي والتعبير.

٢ـ حرية الامتناع عن البيعة.

٣ـ حرية نقد الحكومة.

٤ـ حرية نقد الحاكم.

٥ـ حرية السؤال والمحاورة.

٦ـ حرية التعلم والرواية.

٧ـ حرية التنقل والهجرة من بلد إلى آخر.

فلم يستعمل عليه السلام القوة ولا السيف ولا الضرب ولا القيود ولا حرق البيوت في من امتنع عن بيعته، فهذا عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد، ومحمّد بن مسلمة، قد تخلّفوا عن بيعته، واستأذنه عمّار بن ياسر أن يأتي بهم ليجبرهم على البيعة كما جرت سنّة الخلفاء الثلاثة من قبل، فقال عليه السلام لعمّار: دع عنك هؤلاء الرهط الثلاثة ؛ أمّا ابن عمر فضعيف في دينه، وأمّا سعد ابن أبي وقّاص فحسود، وأمّا محمّد بن مسلمة فذنبي إليه أنّي قتلت قاتل أخيه مرحباً يوم خيبر[1].

---

(١) المعيار والموازنه للأسكافي: ١٠٨.

أقول: عبارة أمير المؤمنين واضحة البيان، فليس هناك ذنب، وهذا في علم البلاغة يسمى (مدح بما يشبه الذم) فكان ينبغي على محمّد بن مسلمة أن يقابل صنيع الإمام بالإحسان، وأقله كان عليه أن يبايع أمير المؤمنين كسائر المسلمين ومع ذلك لم يفعل.

ولم يمنع عطاء أحد ممّن خالفه في رأي أو في سياسة، بل كان يجري التقسيم بين المسلمين على السويّة ولا يفرّق في العطاء بين من هو محبّ لـه أو مبغض.

كما انه عليه السلام لم يجبر أحداً من المسلمين على الحرب معه، بل ندبهم إلى نصرته، فخفّ إليه من استجاب لـه دعوته، وترك من تخلف عنه، وقد عاتبهم على سوء فعلهم ذلك ليس إلاّ.

في من نكث بيعته عليه السلام :

أجمعت كتب التاريخ على أنّ طلحة والزبير هما أوّل من بايع الإمام علياً أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، وكانا يطمحان بالإمارة، إلاّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يولّها شيئاً من ذلك، فنكثا بيعتهما وخرجا عليه وقادا عائشة في حرب الجمل التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين.

وفي ذلك قال عليه السلام : «اللّهم إنّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما».

روى المدائني عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي عليه السلام ، فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله إذ نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد

الله وصلّى على رسول الله ثمّ قال: «أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس. وأيم الله لو لا مخافة فرقة المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه، فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً، ثمّ استخرجتموني ـ أيها الناس ـ من بيتي فبايعتموني على شنآن منّي لأمركم، وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع ـ تعلمون ذلك ـ وقد نكثا وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم. اللّهم فخذهما بما عملا أخذة رابية، ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقل لهما عثرة، ولا تمهلهما فواقاً، فإنّهما يطلبان حقاً تركاه، ودماً سفكاه. اللّهم إنّي اقتضيك وعدك فانّك قلت وقولك الحقّ: ولمن بغى عليه لينصرنه الله. اللّهم فأنجز لي موعدك ولا تكلني إلى نفسي، إنّك على كلّ شيء قدير»[1].

وفي طلحة والزبير لما نقضا البيعة، قال أبو جعفر الأسكافي: ثمّ بعث عليّ عليه السلام بعمّار بن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد المعتزلي) ١: ٣٠٧ـ٣٠٨.

فأتاهما فدعاهما، حتّى جلسا إلى عليّ عليه السلام فقال لهما: نشدتكما الله، هل جئتماني طائعين لبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟!

قالا: نعم. فقال عليه السلام: غير مجبرين ولا مقسورين، فاسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟! قالا: نعم. قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟!

قالا: أعطيناك بيعتنا على ألاّ تقضي الأمور ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كلّ أمر، ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، وأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال عليّ عليه السلام: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما. ألا تخبرانني أدفعتكما عن حقّ واجب لكما فظلمتكما إيّاه؟
قالا: معاذ الله.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالا: معاذ الله.
قال: أفوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟
قالا: معاذ الله. قال: فما الذي كرهتما من أمري حتّى رأيتما خلافي؟

قالا: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم، إنّك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسوّيت بيننا وبين ما لا يماثلنا في ما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسراً ممّن لا يرى الإسلام إلاّ كرها.

فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فخفت أن أردّكم فتختلف الأمة، فلمّا أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاّني عليه واتبعته ولم احتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما.

وأمّا القسم والأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه باديء بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وأمّا قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بأسيافهم ورماحهم فلا فضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسمة ولا اثرهم بالسبق، والله سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما ـ والله ـ عندي ولا لغيركما إلاّ هذا. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر[1].

(١) رواه ابن عقده، ونقله الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي في أواخر أماليه، وأبو جعفر الأسكافي في المعيار والموازنة: ١١٢.

قوله عليه السلام: فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة...

قال أبو جعفر الأسكافي المعتزلي: فلمّا بلغه عليه السلام مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: «قد سارت عائشة والزبير وطلحة، وكلّ يدّعي الأمر دون صاحبه، يطلبه طلحة؛ لأنّه ابن عمّ عائشة، ولا يرى الزبير إلاّ أنّه أحق بالخلافة؛ لأنّه ختن عائشة!

فو الله، لئن ظفروا بما يريدون ـ ولا يرون ذلك أبداً ـ ليضربنّ طلحة عنق الزبير، والزبير عنق طلحة. تنازعا شديداً على الملك.

والله إن راكبة الجمل لا تصعد عقبة ولا تنزل منزلاً إلاّ إلى معصية الله وسخطه حتّى تورد نفسها ومن معها متالف الهلكة، يقتل ثلثهم، ويهزم ثلثهم، ويتوب ثلثهم. والله، لتنبحها كلاب الحوأب، فهل يعتبر معتبر أو يتفكّر متفكر؟!

والله، إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنّهما مخطئان وما يجهلان، ولربّ عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه.

فتدبّروا ـ رحمكم الله ـ هذه الأنباء، ففيها التبيان والشفاء، وتفهّموا ما يرد عليكم من الهدى، ولا يذهبنّ عنكم صفحاً لتعلموا أنّ أموره مبنيّة على يقين متقدّم، وعلم ثاقب، وحجّة بالغة، لا يهن عند الشدائد ولا يفتر عند النوازل، أمره في التقدم والبصيرة أمر واحد، لايضجع في القول، ولا يفتر عند الإقدام، ولا يفرّق بين حاله أيام

النبي ﷺ وبين هذه الحال في الجهد والاجتهاد، والقوّة والعزم والبصيرة في جميع أموره، فلاحظوا أحواله لتعلموا أنّ أعماله مبنيّة على أساس اليقين، وأموره ماضية على البصيرة في الدين، وأنّ هذه الأفعال لا يبيّنها إلاّ علم نافذ، وأن أموره لا تتسق ولا تتفق إلاّ لمن اعتمد على الثقة والمعرفة، وأيّد بالنصر من الله والملائكة».

ثمّ يعقّب الأسكافي فيقول: هذه روايتكم ظاهرة مكشوفة في ماء الحوأب بأسانيدكم عن الشّعبي، عن ابن عبّاس، قال: طرقت عائشة وطلحة والزبير ماء الحوأب ومن معهم ليلاً ـ وهو ماء لبني عامر بن صعصعة ـ فنبحتهم كلاب الحوأب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال: قائل لعن الله أهل الحوأب ما أكثر كلابهم.

قالت عائشة: أي ماء هذا؟ فقال محمّد بن طلحة وعبد الله بن الزبير: هذا ماء الحوأب.

فقالت عائشة: والله لاصحبتكم، ردّوني ردّوني، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأنّي بكلاب ماء يدعى الحوأب قد نبحت على امرأة من نسائي وهي في فئة باغية»، ثمّ قال: «لعلّك أنت يا حميراء»، قالت: ثمّ دعا علياً فناجاه بما شاء. ردّوني.

فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، يراك الناس والمسلمون فيصلح الله ذات بينهم. وقال طلحة: ليس هذا بحين رجوع. ثمّ جاء عبد الله بن الزبير فقال: ليس هذا ماء الحوأب، وحلف لها على ذلك. قالت: وهل

من شاهد يشهد على أنّ هذا ليس ماء الحوأب؟

فأقاموا خمسين رجلاً من الأعراب يشهدون أنّه ليس ماء الحوأب، وجعلوا لهم جعلاً، وكانت أوّل شهادة زور أقيمت في الإسلام[1].

بيان بعض الحقائق تخص الناكثين:

يطالعنا في هذه الخطبة المباركة ما رسمه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إبلاغه الناس حقائق كانت قد خفيت على الكثير منهم، من تلك الحقائق:

أولاً: أنّ طلحة والزبير كلّ منهما يطلب الأمر والرياسة لنفسه، فهما مجتمعان في الظاهر مختلفان في الباطن.

ثانياً: أنّهما إن ظفرا بالسلطة ـ ولا يظفران بها ـ فسوف يضرب أحدهما عنق الآخر، وسوف يتسابقان إلى الغدر.

ثالثاً: صرّح أنّ خروج عائشة خروج معصية، وفي ذلك معصية لله والرسول.

رابعاً: انّ مسير عائشة مع طلحة والزبير سوف يوردهم الهلكة.

خامساً: انّ القوم يفلت منهم ثلثهم، ويقتل مثلهم، ويتوب

---

(١) المعيار والموازنة: ٥٣ ـ ٥٦، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، ط١، ١٩٨١.

آخرون وهو الثلث الناجي.

ولمّا علم الناس أنّ الحرب واقعة وأمير المؤمنين خارج لقتال الناكثين لا محالة قال عقبة بن عمر يستعطف الإمام بأبيات فيها من الرقة والعاطفة ما لا يخفى:

بكت الأرض والسماء على الشا ... خص منّا يريد أهل العراق
يا وزير النبيّ قد عظم الخط ... ب وطعم الفراق مرّ المذاق
وإذا القوم خاصموك فقومٌ ... ناكسو الطرف خاضعو الأعناق
لا يقولون إذ تقول وإن قلـ ... ـت فقول المبرّز السّباق
فعيون الحجاز تذرف بالدّمـ ... ـمع وتلك القلوب عند التّراقي
فعليك السّلام ما ذرّت الشمـ ... ـش ولاح السّراب بالرّقراق(1)

وفي هذا الجو المضطرب ينصح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الناكثين ويحذّرهم هول المطّلع، ويبعث برسائله إلى طلحة والزبير وعائشة. وقد أرّخ حكيم بن مناف هذه الصور، إذ كان يواكبها بنفسه فقال:

أبا حسن أيقظت من كان نائماً ... وما كلّ من يدعى إلى الحق يسمع
وما كلّ من يعطى الرضا يقبل الرضا ... وما كل من أعطيته الحقّ يقنع
وأنت امرؤ اعطيت من كلّ وجهة ... محاسنها والله يعطي ويمنع

(1) أمالي الطوسي: ٧١٦.

وما منك بالأمر المؤلّم غلظةٌ ... وما فيك للمرء المخالف مطمع
وإنّ رجالاً بايعوك وخالفوا ... هداك وأجروا في الضلال فضيّعوا
لأهلٌ لتجريد الصوارم فيهم ... وشمر العوالي والقنا تتزعزع
فإنّي لأرجو أن تدور عليهم ... رحى الموت حتّى يسكنوا ويصرّعوا
وطلحة فيها والزبير قرينه ... وليس لما لا يدفع الله مدفع
فإن يمضيا فالحرب أضيق حلقةً ... وإن يرجعا عن تلك فالسلم أوسع
وما بايعوه كارهين لبيعة ... وما بسطت منهم إلى الكره إصبع
ولا بطيا عنها فراقاً ولا بدا ... لهم أحدٌ بعد الذين تجمّعوا
على نقضها ممّن له شدّ عقدها ... فقصراهما منه أصابع أربع
خروج بأمّ المؤمنين وغدرهم ... وعيب على من كان في القلب أشجع
وذكرهم قتل ابن عفّان خدعةً ... وهم قتلوه والمخادع يخدع
فعود عليّ نبعة هاشمية ... وعودهما في ما هما فيه خروع(1)

حرب الجمل:

قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج): برز علي عليه السلام يوم الجمل ونادى بالزبير: يا أبا عبد الله، مراراً، فخرج الزبير، فتقاربا حتى

(1) انظر: الجمل: ١٧٧ مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٧٩.

اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي عليه السلام: إنّما دعوتك لأذكّرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبّه؟ قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي! فقال: أما إنّك ستحاربه وأنت ظالم له. فاسترجع الزبير وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر. ورجع إلى صفوفه.

فقال له عبد الله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به. فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر، فلا أحاربه أبداً، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبد الله: ما أراك إلاّ جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنّها لسيوف حداد تحملها فتية أنجاد. فقال الزبير: ويلك، أتهيجني على حربه؟ أما أنّي قد حلفت ألاّ أحاربه. قال: كفّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنّك جبنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حرّ كفارة عن يميني، ثمّ أنصل سنان رمحه ـ أي انتزعها ـ وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لا سنان له. فقال علي عليه السلام: أفرجوا له، فإنّه محرج، ثمّ عاد إلى أصحابه، ثمّ حمل ثانية، ثمّ ثالثة، ثمّ قال لابنه: أجبناً ويلك ترى؟ فقال: لقد أعذرت.

وفي شأن الزبير وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ذكّره به أمير المؤمنين قال ابن العوام أبياتاً وهو راجع ومصمّم على ترك القتال:

نادى عليّ بأمر لست أنكره ... وكان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عذلٍ أبا حسنٍ ... بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى مغبّتها ... والله أمثل في الدنيا وفي الدين

فاخترت عاراً على نارٍ مؤجّجة ... أنّى يقوم لها خلق* من الطين[1]

ولما اعتزل الزبير الحرب وادبر عن الجيش سالكاً وادي السباع، إذ مرّ بعسكر الأحنف بن قيس وهو يومئذ معتزل الفريقين، فأخبر الأحنف بمرور الزبير، فقال رافعاً صوته: ما أصنع بالزبير؟! لفّ غارين ـ جيشين ـ من المسلمين حتّى أخذت السيوف منهما مأخذها انسل وتركهم، أما إنّه لخليق بالقتل، قتله الله، فلحقه عمرو ابن جرموز وكان فاتكاً حتّى سايره بعض الطريق إلى أن حضرتهم الصلاة، فقام خلفه ثمّ شدّ عليه فقتله وأخذ سيفه وخاتمه ورجع بهما إلى الأحنف فأخبره، فقال: والله ما أدري أسأت أم أحسنت؟ اذهب إلى علي عليه السلام فاخبره، فجاء عمرو ابن جرموز إلى أمير المؤمنين عليه السلام وناوله سيف الزبير، فقال فيه الإمام عليه السلام: سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار»، وكان كما قال صلى الله عليه وآله، إذ خرج ابن جرموز مع المارقين في النهروان فقتل معهم.

---

(١) شرح النهج (ابن أبي الحديد) ١: ٢٣٣.

أمّا الزبير فقد عرفت عاقبته؛ فهو في الأمس يؤلّب الناس على عثمان بن عفان مع صاحبه طلحة وعائشة واليوم يقف بصف الناكثين ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال ابن جرموز لمّا بشّر بالنار:

أتيت علياً برأس الزبير ... أبغي به عنده الزّلفه

فبشّر بالنار يوم الحساب ... فبئست بشارةُ ذي التحفه

فقلت له إنّ قتل الزبير ... لولا رضاك من الكلفه

فإن ترض ذاك فمنك الرّضا ... وإلا فدونك لي حلفه

وربّ المحلّين والمحرمين ... وربّ الجماعة والألفه

لسيّان عندي قتل الزبير ... وضرطة عنزٍ بذي الجحفه

قوله عليه السلام: وقسط آخرون:

القاسطون هم: معاوية، وعمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة، وأبو العادية الفزاري، وأبو جوني السكسكي، وذو الكلاع، ومن والاهم، وأهل الشام.

اجتمعت كلمة هؤلاء على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، فساروا حتّى نزلوا صفّين؛ موضع على الفرات من الجانب الغربي بطرف الشام، وكان مسير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إليهم من الكوفة إلى صفّين لخمس خلون من شهر شوال سنة ستّ وثلاثين من الهجرة،

وكان معه من الجيش سبعون ألفاً، وعدة جيش أهل الشام خمسة وثمانين ألفاً، وقيل: غير ذلك.

وكانت الحرب في يوم الأربعاء أول صفر سنة سبع وثلاثين، وقد قتل بصفّين من أهل الشام سبعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً.

وممّن قتل واستشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام في يوم صفّين: عمّار بن ياسر، وكان صحابياً وقد جاوز التسعين من عمره، وقبره بصفّين. كان شجاعاً سخياً جواداً وأديباً شاعراً مفلقا. اشترك في قتله أبو العادية الفزاري إذ طعنه برمحه، وقام عنده أبو جوني السكسكي ليحتز رأسه. ولما سقط عمّار على الأرض استسقى فأتي بلبن في قدح، فلمّا رآه كبّر ثمّ شربه وقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن، وتقتلك الفئة الباغية»، فهذا آخر أيّامي.

وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية. وذو الكلاع هذا كان من رؤساء عسكر أهل الشام، وكان ستون ألفاً من الفرسان تحت إمرته، فقال لعمرو بن العاص: ويحك، نحن الفئة الباغية، وكان في شك من ذلك، فيقول عمرو: إنّه سيرجع إلينا.

واتفق أنّه أصيب ذو الكلاع يوم أصيب عمّار، فقال عمرو بن العاص: لو بقي ذو الكلاع لمال بعامّة قومه ولأفسد علينا جندنا.

واحتج رجلان في صفّين في سلب عمّار وفي قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص يتحاكمان إليه، فقال: ويحكما، اخرجا عنّي، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «أولعت قريش بعمّار، وعمّار يدعوهم إلى الجنّة، وهم يدعونه إلى النار».

ولما كثر القتل بين الصفّين، قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: سر إلى معاوية وقل لـه: دعوناك إلى الطاعة والجماعة فأبيت وعندت، وقد كثر القتل بين المسلمين أبرز إليّ حتّى تخلص الناس مما هم فيه. فلمّا أدّى كميل رسالة عليّ عليه السلام قال معاوية لقومه: ما تقولون؟ فنهوه عن ذلك إلا عمرو بن العاص فإنّه قال: قد أنصفك، وإنّه بشر مثلك، فعيّره معاوية وقال: ما هذه العداوة، أتظن أنّي إن قتلت تنال الخلافة والسلطنة؟

فقال عمرو: مازحتك. فقال معاوية:

ولقد رجعت وقلت مزحة مـازح   والمـزح يحملـه مقـال الهـازي

فأنشد عمرو بن العاص في جواب معاوية:

معـاوي إن نكلـت عـن الـبراز   لك الويلات فانظر في المخـازي

معاوي ما اجترمـت إليك ذنبـاً   ومـا انـا بالـذي حـدثت هـازي

ومـا ذنبـي بـأن نـادى علـيّ   وكـبش القـوم يــدعى للـبراز

فلـو بارزتـه بـارزت ليثـاً   حديد الناب يخطف كـلّ بـاز

أضـبعٌ في العجاجـة يـابن هنـد   وعنـد البـاه كـالتيس الحجـازي

فانصرف كميل وأخبر علياً عليه السلام بما جرى، فتبسّم عليّ عليه السلام، وضحك الأشتر.

وفي (مناقب الخوارزمي): كان معاوية على تل مع وجوه قريش ينظر إلى عليّ عليه السلام يقتل كلّ من بارزه، فقال معاوية: لقد دعاني عليّ إلى البراز حتّى استحييت من قريش.

فقال أخوه عتبة بن أبي سفيان: دع عنك هذا كأن لم تسمعه، فقد علمت أنه قتل حريثاً وفضح عمراً وقتل كلّ من برز إليه، وإنّما يقوم مقامك بسر بن أرطاة.

فقال بسر: ما كان أحد أحق بمبارزته من ابن حرب، فأمّا إذا أبيتموه فأنا لـه. وكان لبسر ابن عم فقال:

فأنـت يـا بـسر إن كنـت مثلـه   وإلاّ فـإنّ الليـث للـضبع آكـل

كأنّك يا بسر بـن أرطـاة جاهـل   بـشدّاته في الحـرب أو متجاهـل

متى تلقه فـالموت في رأس رمحـه   وفي سيفه شغل لنفسك شـاغل

ومن بعده في آخر الخيل عـاطف   ومـا قبلـه في اول الخيـل حامـل

فقال بسر: خرج مني شيء فإنّي استحي أن أرجع عما قلت، فغدا بسر إلى المعركة فرأى علياً عليه السلام في أول الخيل منقطعاً عن خيله مع الأشتر وهو يريد التل ويقول:

أنـا عـليّ فاسـألوني تخـبروا   ثم ابرزوا لي في الوغى وأبـدروا

سـيفي حـسام وسـناني أزهـر   منـا النبـي الطـاهر المطهـر

فاستقبله بسر قريباً من التل فطعنه عليّ عليه السلام وهو لا يعرفه إنّه بسر، فانحنى سيفه بيده فصرعه عليّ عليه السلام على وجهه فانكشفت عورته، فانصرف عنه عليّ عليه السلام، فناداه الأشتر: يا أميرالمؤمنين، إنّه بسر بن أرطاة، فقال عليه السلام: دعه. فحمل ابن عم بسر على عليّ عليه السلام فحمل الأشتر عليه وهو يقول:

أكلّ يومٍ رجل شيخ شاغره ... وعورة وسط العجاج ظاهره

وطعنه الأشتر فكسر صلبه، وقام بسر من ضربة عليّ عليه السلام وولّى فرسه، وناداه أمير المؤمنين عليه السلام: يا بسر، كان معاوية بهذا أحق منك.

وفي ذلك يقول النضر بن حارث:

أفي كلّ يوم فارس تندبونه ... له عورة وسط العجاجة باديه

يكف بها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

أقول: إنّ وقائع صفّين كثيرة وسردها يطول، وليس نحن بصددها، وقد ذكرنا مقتطفات منها في كتابنا (الأدب السياسي في صدر الإسلام)، فراجع[1].

---

(١) الأدب السياسي: ٢١١ ـ ٢٤٤.

قوله عليه السلام: ومرقت أخرى...

المارقون هم الذين مرقوا من دين الله واستحلّوا القتال من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسمّوا بالخوارج لأنّهم كانوا في جند العراق مع أميرالمؤمنين ولمّا كانت وقعة صفّين وكاد معاوية ينهزم أشار عمرو بن العاص برفع المصاحف، وهي الحيلة التي انخدع بها قوم من جند العراق واصرّوا على قبول التحكيم، وأميرالمؤمنين عليه السلام يحذّرهم من هذه الخدعة فلم يقبلوا نصيحته، وكادوا يقتلونه أو يسلمونه إلى معاوية إن لم يقبل التحكيم، فقبله مكرها والسيوف مشهورة عليه، ثمّ اختاروا أبا موسى الأشعري للتحكيم وأميرالمؤمنين عليه السلام اختار لهم ابن العبّاس فلم يرضوا به.

ولمّا رجع جند العراق من صفّين شعر القوم بالخذلان والخسران، فخرج من بينهم اثنا عشر ألفاً وهم الذين أناخوا في موضع اسمه النهروان من أرض العراق على بعد أربعة فراسخ من بغداد، وكان على رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية.

لمّا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين ـ وقيل: غنائم هوازن ـ أقبل رجل طويل من آدم بين عينيه أثر السجود فسلّم ولم يخصّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم.

فقال صلى الله عليه وآله: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت. فغضب رسول

الله صلى الله عليه وآله وقال: ويلك، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال المسلمون: ألا نقتله؟

فقال صلى الله عليه وآله: دعوه فإنّه سيكون لـه أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحبّ الخلق إليه من بعدي. فقتله أمير المؤمنين عليه السلام في من قتل يوم النهروان من الخوارج[1].

وعن شريك بن شهاب قال: كنت أتمنّى أن ألقى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثني عن الخوارج، فلقيت أبا برزة في يوم عرفة في نفر من أصحابه، فقلت: يا أبا برزة، حدّثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله في الخوارج.

قال: أحدّثك بما سمعت أذناي ورأت عيناي: أتي رسول الله صلى الله عليه وآله بدنانير فكان يقسّمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود، فتعرّض لرسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئاً، فأتاه من قبل يمينه فلم يعطه شيئاً، ثمّ أتاه من خلفه فلم يعطه شيئاً.

فقال: والله يا محمّد ما عدلت في القسمة منذ اليوم. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً ثمّ قال: والله، لا تجدون بعدي أحداً أعدل عليكم منّي، قالها ثلاثاً.

(١) انظر تفصيل ذلك في صحيح البخاري ٤: ١٧٩.

ثمّ قال: يخرج من قبل المشرق رجال كأنّ هذا منهم، هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون إليه. ووضع يده على صدره. سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتّى يخرج آخرهم، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم! قالها ثلاثاً، شر الخلق والخليقة، قالها ثلاثاً. وقال حماد: لا يرجعون فيه.

رواه أحمد والأزرق بن قيس، ووثّقه ابن حبّان، وبقية رجاله رجال الصحيح[1].

اتسمت عقائد الخوارج بالتطرّف الشديد حتّى إنّهم كفّروا كلّ من يخالفهم من المسلمين، بل أباحوا الدماء والأعراض.

قال الطبري: خرجت عصابة منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا لـه: مَن أنت؟

قال: أنا عبد الله بن خبّاب، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض وكان سقط عنه لمّا أفزعوه. فقالوا لـه: أفزعناك؟ قال: نعم. قالوا لـه: لا روع عليك، فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وآله لعل الله ينفعنا به.

قال: حدّثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ فتنة تكون يموت فيها

(١) فتح الباري ١٢: ٢٥٣.

قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً. قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنّه كان محقـاً في أوّلها وفي آخرها. قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنّه أعلم بالله منكم وأشدّ توقيّاً على دينه وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنّك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها. والله لنقتلك قتلةً ما قتلناها أحداً.

فأخذوه فكتفوه ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتّى نزلوا تحت نخل مواقر... فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: إنّي إنّما أنا امرأة ألا تتقون الله ؟! فبقروا بطنها !

فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر في ما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه، فخرج حتّى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه. وأتى الخبر أميرالمؤمنين عليه السلام والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أميرالمؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام.

ثمّ جاء مقبلاً إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر،

وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا الينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثمّ أنا تارككم وكاف عنكم حتّى ألقى أهل الشام، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه فقالوا: كلّنا قتلتهم، وكلّنا نستحلّ دماءهم ودماءكم[1].

ولّما اصطف الجيشان للقتال قال أميرالمؤمنين عليه السلام لأصحابه: لا تبدؤوهم بقتال. قال البغدادي في تاريخه[2]: فبدأ الخوارج فرموا. فقيل: يا أميرالمؤمنين، قد رموا. قال: فأذن لهم بالقتال.

ثمّ قال علي عليه السلام: نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية، فلمّا طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية، فقال لمن حاذاه من الركب: اقطع أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه حتّى بقيت في يدي واحدة، فنظرت إليه وإذا وجهه أربد وإذا هو يقول: والله ما كذبت ولا كذّبت، فاذا خرير ماء عند موضع دالية، فقال: فتش هذا، ففتشته فإذا قتيل قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعاً، فجذب الرجل الأخرى وجررناه، حتّى صار على التراب، فإذا هو المخدج، فكبّر عليّ بأعلى صوته ثمّ سجد، فكبّر الناس

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٣٦٨.

كلّهم[1].

ولم يفلت من هذه الحرب من الخوارج إلاّ تسعة، ولم يقتل من أصحاب عليّ إلاّ دون العشرة.

وقد سار أولئك التسعة إلى جهات متفرّقة؛ سار منهم رجلان إلى سجستان، ورجلان إلى عمان، ورجلان إلى اليمن، ورجلان إلى ناحية الجزيرة، ورجل إلى تل مورون في اليمن، فالخوارج في هذه البلاد من أتباع هؤلاء[2].

وللخوارج عدة أسماء: سمّوا أوّلاً المحكمة؛ لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم: (لا حكم إلاّ لله). ثمّ سمّوا بالحرورية نسبة إلى حروراء، وهي قرية قرب الكوفة خرجوا إليها أوّل الأمر. وسمّوا الشراة، ومفردها شارٍ، كأنّهم ـ حسب زعمهم ـ شروا أنفسهم، أي باعوها لله تعالى. وسمّوا بأسماء زعمائهم والتي أصبحت فيما بعد فرقاً وأحزاباً، كالإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض، والأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق[3].

روي في (غاية المرام) عن (أمالي) الشيخ بإسناده عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، عن أبيه عن جدّه عليهما السلام، قال: «بلغ

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٧٦.

(٢) الفتوح لابن أعثم ٤: ١٣٢. والملل والنحل ١: ١١٧.

(٣) انظر: كتابنا (الأدب السياسي في صدر الإسلام): ٢٤٥ ـ ٢٧٦.

أمّ سلمة زوجة النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ مولىً لها ينتقص علياً عليه السلام ويتناوله، فأرسلت إليه، فلمّا صار إليها قالت له: يا بني، أنك تنتقص علياً وتتناوله؟

قال: نعم يا أمّاه. قالت له: اقعد ثكلتك أمّك حتّى أحدّثك بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ اختر لنفسك. إنّا كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟

قال: لا. فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردّني من سخطه أو نزل فيّ شيء من السماء. ثمّ لم ألبث حتّى أتيت الباب الثاني، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا، فكبوت كبوة أشدّ من الأولى. ثمّ لم ألبث حتّى أتيت الباب الثالث، فقلت: أدخل يا رسول الله؟

فقال: ادخلي يا أمّ سلمة، فدخلت وعلي عليه السلام جالس بين يديه وهو يقول: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟

قال: آمرك بالصبر، ثمّ أعاد عليه القول ثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا عليّ، يا أخي، إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب قدماً قدماً حتّى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم. ثمّ التفت صلّى الله عليه وآله إليّ فقال لي: تالله، ما هذه الكآبة يا أمّ سلمة؟

قلت: الذي كان من ردّك يا رسول الله، فقال لي: والله ما رددتك

من موجدة، وإنّك لعلى خير من الله ورسوله، ولكن أتيتني وجبرائيل يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي فأمرني أن أوصي بذلك علياً.

يا أمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة. يا أمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لواء الحمد غداً في القيامة. يا أمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب وصيّي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي. يا أمّ سلمة، اسمعي واشهدي: هذا عليّ بن أبي طالب سيّد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. فقال مولى أمّ سلمة: فرّجت عنّي فرّج الله عنك، والله لا سبّيت علياً أبداً[1].

تنبيه وتعليق:

لقد استثقل بعض من الكتّاب المعاصرين الخطبة الشقشقية، فيما ذهب البعض الآخر إلى التشكيك بالخطبة اتباعاً لابن تيميّة ومن شاكله

(١) أمالي الطوسي: ٤٢٥، منهاج البراعة ٣: ١٠٦.

في عقائده، لا لشيء إلاّ لكونها تعرّض بالذين غصبوا الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام، مع معرفة أولئك بأحقيّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة، وسابقته في الإسلام، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وآله.

ولا همّ لأصحاب هذه الأقلام إلاّ طمس الحقائق وإخفائها على الأجيال انطلاقاً من التقديس والتنزيه والتعظيم الذي رسموه للخلفاء، بل لجميع الصحابة، والذي يفوق حتّى تقديس الأنبياء.

ولا يخفى أنّ من بين الصحابة أبا سفيان، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وخالد ابن الوليد، والزبير بن العوام، وبسر بن أرطاة، والوليد بن عتبة، والمغيرة، وذا الخويصرة، والحكم، ومروان بن الحكم ـ طريدي رسول الله ـ ومنهم من قال: إنّ النبيّ ليهجر...

وشخصيات أخرى يقدّسها البعض، لكنّها أساءت إلى الإسلام، بل هتكت حرمته، وكادت تطيح بصرح هذا الدين الحنيف لولا إرادة الله سبحانه.

لذا استنكر هذا الفريق من الكتّاب على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأرادوا منه ألاّ يكشف أوراق من مضى، وألاّ يتفوّه بما جرى عليه من مصائب ومحن، وألاّ يتعرّض للقوم حتّى لو خالفوا القرآن والسنّة. بل عليه أن يسكت عن شطحاتهم، فكما سكت في أيام خلافتهم فعليه أن يسكت بعد وفاتهم..!

لا أدري أي منطق هذا يتبجّح به ذاك البعض من ذوي الأقلام

المخدوعة، كأنّهم لم يقرؤا آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآيات الجهاد، وما يحثّه القرآن المجيد في الدفاع عن الحقوق، وردع الظالمين، والوقوف بوجه الطواغيت وأهل البدع؟!

لمّا كان القرآن الكريم يحثّ الإنسان المسلم على أن يدافع عن حقّه المسلوب حتّى يستحصل عليه بأي شكل من الأشكال، فما بالك بأمير المؤمنين عليه السلام وهو الراعي لهذه الأمة؟! إنّما كان يطالب بحقّه المغصوب ـ الخلافة ـ انطلاقاً من التكليف الشرعي الموجّه إليه، ولمّا اعرضت الأمّة عنه أعرض عنها وتركها وشأنها.

فإذا كان الأمر كذلك فعلامّ هذا الاعتراض على كلامه عليه السلام ؟! فهل كان خلافاً لمجريات الأحداث أو إنّه يخالف القرآن والسنّة؟!

ثمّ أية قدسيّة للصحابة التي ينادي بها أولئك النفر وهم يعلمون جيّداً أنّ من بينهم من نزل فيهم القرآن يلعنهم، ووصف جملة منهم بالنفاق، والآيات في ذلك عديدة، بل نزلت فيهم سورة (المنافقون)!

ثمّ قال عليه السلام في خطبته: «كأنّهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[1]، بلى والله، لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها».

(١) القصص: ٨٣.

شدّد عليه السلام في عبارته هذه النكير على الجماعة في مخالفتهم له وإعراضهم عنه، وقد استشهد عليه السلام بالآية الكريمة.

ولا يخفى على اللّبيب أنّ استحقاق الآخرة كان معلّقا على عدم إرادة العلو والفساد. وهؤلاء الجماعة ـ سواء الناكثين والقاسطين والمارقين، أو من سبقهم من الخلفاء الثلاثة ـ لمّا علوا في الأرض وأفسدوا فيها وخالفوا الإمام العادل وتركوا متابعته فلا مناص من تشبيههم بمن لم يسمع تلك الآية الكريمة.

ثمّ دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السماع لو اعتذر به بقوله: «بلى والله لقد سمعوها ووعوها»، إنّه كلام مؤكّد بالقسم واللام وكلمة التحقيق(قد)، ثمّ أكدّ كلّ ذلك بالإشارة إلى سرّ عدم حصول ثمرة السماع بعد حصول نفسه فقال عليه السلام: «ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»، فكان ذلك هو المانع عن ترتّب ثمرة السماع عليه والباعث على إعراضهم عن الدار الآخرة، والسبب لاشترائهم الضلالة بالهدى، ولسعيهم في الأرض بالعلو والفساد.

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ينطبق على هذه الثلة الغاصبة من الناس وعلى أمثالهم ومن عساه يتخيل أنّ الحق في سلوك مسالكهم.

***

خاتمة الخطبة

قوله عليه السلام: «أما والذّي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

ممّا تقدم من الخطبة كان بياناً لحال القوم وحاله عليه السلام معهم، فذكر شكايته إلى المسلمين والتظلّم في أمر الخلافة، وذم الشورى وما انتهى إليه من الحال التي أوجبت نزوله عن مرتبته إلى أن قرن بالجماعة المذكورين، وقد اتضحت لك الفصول المتقدّمة من الخطبة أنّ القوم ركنوا إلى غصب الخلافة وهم على يقين ببطلان عملهم، وأنّ ما ارتكبوه هو جرم عظيم، ولكن (حليت الدنيا بأعينهم)، أمّا هو عليه السلام فلم يقبل الخلافة إلا لأمور سنذكرها لاحقاً إن شاء الله.

وقد جاء قوله ذاك مؤكداً بالقسم فقال: «أما والذي فلق الحبة».

وقال: «وبرأ النّسمة».

إضافتان: فالق الحبة، وبارئ النسمة. وكلا الإضافتين جاءتا في

قسمٍ عظيم، ولا يخفاك أنّ الوصف الأوّل قد ورد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿فالق الحبّ والنّوى﴾[١]، والوصف الثاني قوله تعالى: ﴿ونفسٍ وما سوّاها﴾[٢].

إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام يرى نفسه مكلّفاً من قبل الشارع المقدس لأن يطالب القوم في استرجاع حقّه من الخلافة، وما تلك المطالبة إلا لإقامة العدل وإجراء الحدود والأحكام وإعطاء كلّ صاحب حقّ حقّه.

وليس هناك طمع شخصي في السلطة، وفي خطبه وكتبه عليه السلام الشيء الكثير الذي يفصح عن ذلك الواجب الملقى على عاتقه الشريف، من ذلك ورد في كتابه إلى أهل مصر:

«أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً ﷺ نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين، فلمّا مضى ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت بيدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون

(١) الأنعام: ٩٥.
(٢) الشمس: ٧.

المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم... »[١].

ثمّ يقول في نفس الكتاب: «إنّي والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت، وإنّي من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي، ويقين من ربّي، وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ، ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها، فيتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فإنّ منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجلد حدّاً في الإسلام، وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرضائخ... »[٢].

وعليه فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ذكر من تلك الأعذار التي قادته إلى قبول الخلافة ثلاثة:

العذر الأوّل: حضور الحاضرين لمبايعته من الأنصار والمهاجرين.

العذر الثاني: قيام الحجّة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام.

العذر الثالث: ما أخذ الله على العلماء ـ أي الأئمّة^ـ من العهد على إنكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع الظلامات عند التمكن.

(١) نهج البلاغة، كتاب الإمام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر، رقم٦٢.
(٢) نهج البلاغة، كتاب الإمام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر، رقم٦٢.

والعذران الأوّلان هما شرطان في الثالث، إذ لا ينعقد ولا يجب إنكار المنكر بدونهما.

وفي النص المتقدّم تجد في قوله: «كظّة ظالم» كناية عن قوة الظلم.

وفي قوله عليه السلام: «سغب مظلوم» كناية عن قوة المظلومية وما لحق بالمظلوم من ضرر شديد وظلم لا يطاق.

أمّا قوله عليه السلام: «لألقيت حبلها»، أي زمام الخلافة، وفيها استعارة، فقد شبّه الخلافة بالناقة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي من يأخذها وما يصيبها.

وقوله عليه السلام: «لسقيت آخرها بكأس أولها»، مراده عليه السلام لتركت الخلافة آخراً كما تركتها أولاً، وخلّيت الناس يشربون من كأس الحيرة والجهالة بعد عثمان ويعمهون في سكرتهم كما شربوا في زمن الثلاثة.

في قوله المتقدّم استعار لفظ (السقي) للترك المذكور، ورشّح تلك الاستعارة بذكر الكأس.

أمّا قوله عليه السلام: «لألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز»، تصريح منه عليه السلام أنّ هذه الدنيا لا شيء عنده ولا تساوي إلاّ ما تنثره العنز من أنفها، فمهما بلغ نعيم الدنيا وزبرجها عند القوم فهي كهذا النثار أو كنعل انقطع شسعه بحيث لا ينتفع به، كما هو في كلام له لابن عبّاس.

بلى، إنّه عليه السلام أقدم على قبول الخلافة آخراً لإجراء أمورهم على

القانون العدل المأخوذ على العلماء.

أقول: أهل السواد[1] المقصود بهم العراقيّون. أمّا الكتاب فكانت فيه جملة من الأسئلة، قال أبو الحسن الكيدري: وجدت في الكتب القديمة أنّ الكتاب الذي دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدّة مسائل:

إحداها: ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب؟ فأجاب عليه السلام بأنّه يونس بن متى عليه السلام، خرج من بطن الحوت.

المسألة الثانية: ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام؟ فقال عليه السلام: هو نهر طالوت؛ لقوله تعالى: ﴿إلاّ من اغترف غرفةً بيده﴾[2].

المسألة الثالثة: ما العبادة التي لو فعلها واحد استحق العقوبة، وإن لم يفعلها استحق العقوبة أيضاً؟ فأجابه بأنّها صلاة السكارى.

المسألة الرابعة: ما الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا أصل؟ فقال عليه السلام: هو طائر عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وإذ تخلق من الطّين كهيئة الطّير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[3].

المسألة الخامسة: رجل عليه من الدين ألف درهم وله في كيسه ألف درهم، فضمنه ضامن بألف درهم، فحال عليه الحول، فالزكاة على

---

(١) مصطلح قديم يطلق على ساكني بلاد الرافدين.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) المائدة: ١١٠.

أيّ المالين تجب؟ فقال عليه السلام: إن ضمن الضامن بإجازة من عليه الدين فلا يكون عليه، وإن ضمنه من غير إذنه فالزكاة مفروضة في ماله.

المسألة السادسة: حجّ جماعة ونزلوا في دار من دور مكّة وأغلق واحد منهم باب الدار، وفيها حمامٌ فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار فالجزاء على أيّهم يجب؟ فقال عليه السلام: على الذي أغلق الباب ولم يخرجهنّ ولم يضع لهنّ ماءً.

المسألة السابعة: شهد شهداء أربعة على محصن بالزنا فأمرهم الإمام برجمه، فرجمه واحد منهم دون الثلاثة الباقين، ووافقهم قوم أجانب في الرجم فرجم من رجمه عن شهادته، والمرجوم لم يمت، ثمّ مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته، فعلى من يجب ديَته؟ فقال عليه السلام: يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه.

المسألة الثامنة: شهد شاهدان من اليهود على يهودي أنّه أسلم، فهل تقبل شهادتهما أم لا؟ فقال عليه السلام: لا تقبل شهادتهما؛ لأنّهما يجوّزان تغيير كلام الله وشهادة الزور.

المسألة التاسعة: شهد شاهدان من النصارى على نصراني أو مجوسي أويهودي أنّه أسلم؟ فقال عليه السلام: تقبل شهادتهما؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودّةً للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى﴾[1]، ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد شهادة الزور.

(١) المائدة: ٨٢.

المسألة العاشرة: قطع إنسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الإمام وشهدوا على قطع يده، وأنّه زنا وهو محصن، فأراد الإمام أن يرجمه فمات قبل الرجم بقطع يده، على القاطع دية القطع أو دية النفس؟ فقال الإمام عليه السلام: من قطع يده دية يد - القطع - حسب، ولو شهدوا أنّه سرق نصاباً لم يجب دية يده على قاطعها، والله أعلم.

هذا شرح مجمل لخطبة أمير المؤمنين عليه السلام والمسمّاة بـ(الشقشقيّة)، حرصنا على أن نذكر أهم المطالب المتعلقة بكلامه ذاك عليه السلام، والحمد لله على حسن توفيقه وهو حسبي ونعم الوكيل.

***

فهرس الكتاب

مقدمة المكتبة ٥

الفصل الأول: خطبة أمير المؤمنين عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية ٧

شرح مفردات الخطبة ٩

ما نقله ابن أبي الحديد في شأن الخطبة ١٦

مصادر الخطبة الشقشقية ١٨

تسمية الخطبة ٢١

الأبعاد الحسية للخطبة ٢٥

الأوجه البلاغية في الخطبة ٢٦

الفصل الثاني: تفصيل بعد إجمال ٣١

لماذا سقيفة بني ساعدة؟ ٣٤

كيف تمت البيعة لأبي بكر؟ ٣٧

نتائج ما تقدم ٤٥

كيف كانت بيعة عمر بن الخطّاب؟ ٤٩

بوادر الشورى والبيعة لعثمان ٦٠

قرار الشورى يصنعه الخليفة الثاني ٦٦

الفصل الثالث: قوله عليه السلام في خطبته: «يستقيلها في حياته» ٧١

أبو قحافة يردّ خلافة ولده أبي بكر ٧٣

الفرار من الزحف ٧٤

الفصل الرابع: قوله عليه السلام: «يغلظ كلمها ويخشن مسّها...» ٧٧

أخلاق عمر بن الخطّاب ٧٧

صحابة الرسول يشهدون على عمر بغلظته ٧٩

خشونة عمر وغلظته حتى مع الحيوان ٨١

خشونته مع الرسول ﷺ ٨٢

مشاكسة عمر للنبي والردّ عليه ٨٤

ما اعترضه على النبي في مرضه قوله: (النبي يهجر) ٨٥

تعرّضه لزوجات النبي ﷺ ٨٨

عمر بن الخطاب يتطاول على صفية عمة النبي ﷺ ٨٨

قساوته مع رحمه ٨٩

خشونته مع نسائه ٩١

مع ولده ٩١

حتى النساء يعرفن خشونة عمر ٩١

الدرّة آلة التأديب ٩٣

خشونة عمر وغلظته مع اصحاب النبي ﷺ ٩٤

مع ابي بكر بن ابي قحافة ٩٥

السؤال والتعلّم ممنوع والسياط هي الجواب ٩٥

عمر يضرب ابا هريرة ويتطاول على الرسول ﷺ فينهاه ٩٦

عقوبة بلا ذنب ٩٨

الرعية وبغضها لابن الخطاب ١٠٢

من فتاوى الخليفة عمر المخالفة لنص القرآن ١٠٣

ما أدخله من بدعة ليس من الدين ١٠٦

تجسّسه على بيوت الناس ١٠٦

مصادر (لولا علي لهلك عمر) من كتب الجمهور ١١٤

الفصل الخامس: قول أمير المؤمنين عليه السلام «... والاعتذار منها» ١١٩

اجتهادات عمر بن الخطّاب ١٢٠

الفصل السادس: الإمام والشورى وحديث المناشدة ١٣١

أعضاء الشورى ١٤٤

من هم أعضاء الشورى؟ ١٤٦

آراء الخليفة عمر بن الخطّاب فيهم ١٤٦

الفصل السابع: قوله عليه السلام: «إلى أن قام ثالث القوم...» ١٤٩

سيرة عثمان بن عفان ١٤٩

اجتهادات عثمان وما فيها من مخالفات للنص القرآني ١٥٠

تعطيل الحدود التي فرضها الله سبحانه ١٥٢

حكم الجنابة عند عثمان ١٥٤

أكله الصيد وهو محرم ١٥٥

ما أفتى به عثمان خلافاً للنص ١٥٦

الفصل الثامن: قوله عليه السلام: «قام ثالث القوم نافجاً حضنيه...».... ١٥٧

حاشية عثمان وبطانته وأركان دولته............................ ١٥٨

فسق الوليد بن عقبة ١٦٠

جرائم الوليد بن عقبة ١٦٤

النموذج الثاني: من ولاة عثمان أخوه من الرضاعة ١٦٨

سيرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ١٦٨

اقتطاع أموال بيت المسلمين لأقربائه ١٧١

النموذج الأول: الحكم بن أبي العاص ١٧٢

النموذج الثاني: عطايا عثمان لمروان ١٧٤

من هبات عثمان لابن عمه مروان ١٧٤

موقف مروان في يوم الجمل ١٧٥

النموذج الثالث: هبات عثمان لسعد بن أبي وقاص ١٧٥

النموذج الرابع: هبات عثمان للزبير ١٧٧

النموذج الخامس: هبات عثمان لطلحة ١٨١

النموذج الثامن: عبد الرحمن بن عوف الزهري واستحواذه على المال.. ١٨٤

تركة عثمان بن عفان ١٨٦

تعطيل الحدود ١٨٨

الفصل التاسع: قوله عليه السلام: «فما راعني إلا والناس كعرف........... ١٨٩

في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ١٨٩

حرية الانتخاب ١٩٥

في من نكث بيعته عليه السلام ١٩٧

قوله عليه السلام: فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة............................ ٢٠١

بيان بعض الحقائق تخصّ الناكثين ٢٠٣

حرب الجمل ٢٠٥

قوله عليه السلام: وقسط آخرون ٢٠٨

قوله عليه السلام: ومرقت أخرى ٢١٣

تنبيه وتعليق ٢٢٠

خاتمة الخطبة ٢٢٥

فهرس الكتاب ٢٣٣

***

انّ القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة يشكلان هوية الإنسان المسلم . و هما مصداق كلام النبي (ص) في التمسك بالثقلين . فالقرآن هو الثقل الأول، ونهج البلاغة هو التجسد الأتم للثقل الثاني أعني العترة، ولو تدبرنا في هذا الكتاب ـ بعد تدبرنا في القرآن الكريم ـ حق التدبّر . لرأينا انّه يحتوي على خير الدنيا والآخرة . وجدير به أن يكون منهاجاً لحياة البشرية، وطريقاً نحو السعادة الأبدية.

إنّ سلسلة (في رحاب نهج البلاغة) التي تصدرها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف . محاولة متواضعة لإظهار هذه الحقيقة . حيث تهدف إلى وضع دراسات مختصرة عن هذا السفر القيم، تتناول شرح خطبة أو كتاب أو حكمة وردت في هذا الكتاب، أو دراسة موضوع معيّن، أو دفع شبهة مثارة . كلّ ذلك لتعميم الفائدة ، وتسهيل الوصول إلى لآلئ هذا السفر القيم...



خطبة أثارت جدلاً كثيراً، لما تحتويه من صراحة في ذكر الأحداث التي مرّت بها الأمة الإسلامية بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الملأ الأعلى، وما حدث من إبعاد العترة الطاهرة عمّا أمر به الرسول بالوحي الإلهي وبلّغه لإتمام النعمة وإكمال الدين.



موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

موقع مكتبة الروضة الحيدرية : www.haydarya.com

رقم الاصدار (٧٨)